۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

شـرح الكلـمات :

ومن يقنت منكن لله ورسوله : أي ومن يطع منكن الله ورسوله .

نؤتها أجرها مرتين : أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتى يكون ضعف عمل امرأة أخرى من غير نساء النبي .

واعتدنا لها رزقا كريما : أي في الجنـة .

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء : أي لستن في الفضل كجماعات النساء .

إن اتقيتن : بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكنّ لله .

فلا تخضـعن بالقول : أي نظراً لشرفكن فلا ترققن العبارة .

فيطمع الذي في قلبه مرض أي مرض النفاق أو مرض الشهوة .

وقلن قولا معروفا : أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه .

وقرن في بيوتكن : أي أقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة .

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى : أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متغنجات كفعل نساء الجاهلية الأولى قبل الاسلام .

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس : أي إنما أمركُنَّ بما امركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليطهركن من الأدناس والرذائل .

واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة: أي الكتاب والسنة لتشكرن الله على ذلك بطاعته وطاعة رسوله .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم مع أزواج النبي أمهات المؤمنين فبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخـرة عن الحياة الـدنيا وزينتهـا أصبحن ذوات رفعـة وشـأن عنـد الله تعالى ، وعند رسوله والمؤمنين. فأخبرهن الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي تطع الله بفعل الأوامر وترك النواهى وتطع رسوله محمداً ﷺ فلا تعص له أمراً ولا تسىء إليه فى عشرة، وتعمل صالحاً من النوافل والخيرات نؤتها أجرها مرتين أي نضاعف لها أجر عملها فيكون ضعف أجر عاملة أخرى من النساء غير أزواج الرسول ﷺ. وقوله:[1] ﴿واعتدنا لها رزقا كريما﴾ أي في الجنة فهذه بشارة بالجنة لنساء النبي أمهات المؤمنين التسع اللاتى نزلت هذه الآيات في شأنهن .

[3] هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣١) وقوله تعالى : ﴿يا نساء النبي[2] لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ أي يا زوجات النبي أمهات المؤمنين إنكن لستن كجماعات النساء إن شرفكن أعظم ومقامكن أسمى وكيف وانتن أمهات المؤمنين وزوجات خاتم النبيين فاعرفن قدركن بزيادة الطاعة لله ولرسوله ، وقوله إن اتقيتن أي إن هذا الشرف حصل لكن بتقواكن لله فلازمن التقوى إنكن بدون تقوى لا شيء يذكر شأنكن شأن سائر النساء .وبناء عليه ﴿فلا تخضعن[4] بالقول﴾ أي لاتلِنَّ الكلمات وترققن الصوت إذا تكلمتن مع الأجانب من الرجال. وقوله تعالى : ﴿فيطمع الذي في

---

(١) التاء في اعتدنا بدل عن أحد الدالين من اعد لقرب مخرجيها وقصد التخفيف.

(٢) أعيد خطابهن من قبل الله تعالى كما أعيد نداؤهن تشريفاً لهن وإظهاراً للاهتمام بالخبر. وأحد بمعنى واحد قلبت همزته واواً.

(٣) هذا الشرط معتبر في التقوى، إذ بين لهن أن هذا الشرف وهذه البشرى بالجنة إنما كانت بشرط التقوى والتقوى اجتناب وامتثال.

(٤) قال ابن عباس: المرأة تندب إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في القول من غير رفع صوت فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام.

قلبه مرض﴾ نفاق أو ضعف إيمان مع شهوة عارمة تجعله يتلذذ بالخطاب وقوله: ﴿وقلن قولا معروفا﴾وهو مايؤدي المعنى المطلوب بدون زيادة ألفاظ وكلمات لا حاجة إليها. وقوله: ﴿وقرن[1] في بيوتكن﴾ أي اقررن فيها بمعنى اثبتن فيها ولا تخرجن الا لحاجة لا بد منها وقوله: ﴿ولا تبرجن﴾ أي إذا خرجتن لحاجة ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي قبل الإسلام إذ كانت المرأة تتجمل وتخرج متبخترة متكسرة متغنجة في مشيتها وصوتها تفتن الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وأقمن الصلاة﴾ بأدائها مستوفاة الشروط والأركان والواجبات في أوقاتها مع الخشوع فيها ﴿وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله﴾ بفعل الأمر واجتناب النهى. أمرهن بقواعد الإسلام وأهم دعائمه. وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أي إنما أمرناكن ونهيناكن[2] إرادة إذهابِ الدنس والإثم ابقاءً على طهركن يا أهل البيت النبوى.

وقوله تعالى: ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أي كاملاً تاماً من كل ما يؤثم ويدسى النفس ويدنسها.

وقوله تعالىٰ ﴿واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب والسنة وهذا أمر لهن علىٰ جهة الموعظة وتعدد النعمة.

وقوله تعالى: ﴿ان الله كان لطيفاً﴾ أي بكم يا أهل البيت خبيراً بأحوالكم فثقوا فيه وفوضوا الأمر إليه. والمراد من أهل البيت هنا أزواج النبي ﷺ[3] وفاطمة وابْنَاهَا الحسن والحسين وعليٌّ الصهر الكريم رضي الله عن آل بيت رسول الله أجمعين وعن صحابته أكتعين(١) أبتعين أبصعين..

هداية الأيات

من هداية الآيـات :

١ـ لا شرف الا بالتقوى. ان اكرمكم عند الله أتقاكم.

٢ـ بيان فضل نساء النبي وشرفهن.

---

(١) قرأ نافع وحفص وقرن بفتح القاف من قرر كعلم يقرر والأمر اقررن فحذفت الراء الأولى تخفيفاً وألغيت حركتها على القاف، فسقطت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها عندما تحركت القاف الساكنة فصارت وقرن، وقرأ الجمهور بكسر القاف.

(٢) المعنى العام للآية: ما يريد الله لكن مما أمركن به ونهاكن عنه إلا عصمتكن من النقائص وتحليتكن بالكمالات ودوام ذلك لكن فلم يرد بكن مقتاً ولا نكاية.

(٣) من جهل الرافضة وما وضع لهم من قواعد في دينهم لاخراجهم من الإسلام وإبعادهم عن جماعة المسلمين قصرهم هذه الآية على علي وفاطمة والحسنين دون أزواج النبي ﷺ مع أن الخطاب في الآية لأزواج النبي ﷺ وحديث الكساء لا ينافي ادخال سائر نساء النبي في أهل بيته إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر المعروفة في لغة القرآن ونصه في صحيح مسلم عن عائشة قالت خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

٣ـ حرمة ترقيق المرأة صوتها وتليين عباراتها اذا تكلمت مع أجنبى .

٤ـ وجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لابد منها .

٥ـ حرمة التبرج وهى أن تتزين المرأة وتخرج بادية المحاسن متبخترة فى مشيتها .

٦ـ على المسلم أن يذكر ما شرفه الله به من الإيمان والإسلام ليترفع عن الدنايا والرذائل .

٧ـ بيان أن الحكمة هى السنة النبوية الصحيحة .

٨ـ الإشارة الى وجود جاهلية ثانية وقد ظهرت منذ نصف قرن وهى تبرج النساء بالكشف عن الرأس والصدور والسيقان وحتى الأفخاذ .

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

إن المسلمين والمسلمات : إن الذين أسلموا لله وجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً والمسلمات أيضاً .

والمؤمنين والمؤمنات : أي المصدقين بالله رباً وإلهاً والنبي محمد نبياً ورسولاً والإسلام دينا وشرعاً والمصدقات .

والقانتين والقانتات : أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من النساء .

والصادقين والصادقات : أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات .

والصابرين والصابرات : أي الحابسين نفوسهم على الطاعات فلا يتركوها وعن المعاصى فلا يقربوها وعلى البلاء فلا يسخطوه ولا يشتكوا الله إلى عباده والحابسات .

الخاشعين والخاشعات : أي المتذللين لله المخبتين له والخاشعات من النساء كذلك.

والمتصدقين والمتصدقات : أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه والمؤديات كذلك.

والحافظين فروجهم : أي عن الحرام والحافظات كذلك الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم بالنسبة للرجال أما النساء فالحافظات فروجهن الا على ازواجهن فقط.

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات : أي بالألسن والقلوب فعلى أقل تقدير يذكرن الله ثلثمائة مرة في اليوم والليلة زيادة على ذكر الله فى الصلوات الخمس.

أعد الله لهم مغفرة : أي لذنوبهم وذنوبهن.

وأجراً عظيماً : أي الجنة دار الأبرار.

معنى الآيات :

هذه الآية وإن نزلت جواباً عن تساؤل بعض أزواج النبي ﷺ إذ قلن للنبي ﷺ: مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال[1] فأنزل الله تعالى هذه الآية المباركة إن المسلمين والمسلمات، فإن مناسبتها لما قبلها ظاهرة وهى أنه لما أثنى على آل البيت بخير فإن نفوس المسلمين والمسلمات تتشوق لخير لهم كالذى حصل لآل البيت الطاهرين فذكر تعالى أن المسلمين[2] والمسلمات الذين انقادوا لأمر الله ورسوله وأسلموا وجوههم لله فلا يلتفتون إلى غيره، كالمؤمنين والمؤمنات بالله رباً وإلهاً ومحمداً نبياً ورسولاً والإسلام ديناً وشرعا، كالقانتين أي المطيعين لله ورسوله والمطيعات فى السراء والضراء والمنشط والمكره في حدود الطاقة البشرية، كالصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات كالصابرين أي الحابسين نفوسهم على الطاعات فعلا، وعن المحرمات تركا، وعلى البلاء رضاً وتسليماً والصابرات كالخاشعين في صلاتهم وسائر طاعاتهم والخاشعات لله تعالى كالمتصدقين بأداء زكاة أموالهم وبفضولها عند الحاجة إليها والمتصدقات كالصائمين رمضان والنوافل كعاشوراء والصائمات، كالحافظين فروجهم عما حرم الله تعالى عليهم من المناكح وعن

---

(١) روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت الآية، وروى أحمد والنسائي وابن جرير عن أم سلمة أنها قالت قلت ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فنزلت.

(٢) بدىء بذكر الإسلام لأنه علم على الملة المحمدية وهو يعم الإيمان وعمل الجوارح ثم ذكر الإيمان لأنه كالطاقة المحركة والدافعة إلى القول الحق والطاعة لله ورسوله.

تكشفها لغير الأزواج والحافظات،[1] كالذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار[2] ذكر القلب واللسان والذاكرات[3] الكل الجميع أعد الله تعالى لهم مغفرة لذنوبهم إذ كانت لهم ذنوب، وأجراً عظيماً أي جزاء عظيماً على طاعاتهم بعد إيمانهم وهو الجنة دار السلام جعلنا الله منهم ومن أهل الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم ودخول الجنة إن اتصفوا بتلك الصفات المذكورة في هذه الآية وهي عشر صفات أولها الإسلام وآخرها ذكر الله تعالى.

٢ ـ فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب.

٣ ـ تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء فى العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً وأماماخص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن والله يقول الحق ويهدي السبيل.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ

---

(١) حذف من الأخر لدلالة الأول والمحذوف فروجهن، ولأن ذكر فروج النساء غير لائق ذكره وسماعه لما عرف به أهل هذه الملة من عدم الرضا بذكر النساء لصيانتهن عن الابتذال والمهانة.

(٢) وحذف المقابل في الذاكرات طلباً للإيجاز غير المخل لأن الذكر الأخر مع ذكر الأول مع العلم به إطناب لا داعي له قال الشاعر:

وكَمْتاً مدمّاة كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مُذْهب

(٣) قال مجاهد: لا يكون العبد ذاكراً لله تعالى كثيراً حتى يذكره قائماً وجالساً ومضطجعاً، وقال أبو سعيد الخدري ومن أيقظ أهله بالليل وصليا أربع ركعات كانا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ما كان لمؤمن ولا مؤمنة : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة .

أن يكون لهم الخيرة من أمرهم : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع .

فقد ضل ضلالاً مبيناً : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأً واضحاً .

أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق وهو زيد بن حارثة .

واتق الله : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها .

وتخفي في نفسك : أي وتخفي في نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجكها الله إبطالاً لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنّى .

ما الله مبديه : أي مظهرهُ حتماً وهو زواج الرسول من زينب بعد طلاقها .

وتخشى الناس : أي يقولوا تزوج محمد مطلقة مولاه زيد .

والله أحق أن تخشاه : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج .

فلما قضى زيدٌ منها وطراً : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها لتعاليها عليه بشرف نسبها ومحتد آبائها .

زوجناكها : إذ تولى الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن من أحدٍ وذلك سنة خمس وأُشبع الناس لحماً وخبزاً في وليمة عرسها.

كيلا يكون على المؤمنين حرج : أي إثم في تزوجهم من مطلقات أدعيائهم.

وكان أمر الله مفعولا : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لابد كائن.

ولا يخشون احداً إلا الله : أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يبالون بقول الناس.

وكفى بالله حسيباً : أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسبا لهم عليهايوم الحساب.

ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم : أي لم يكن أباً لزيد ولا لغيره من الرجال إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار.

وخاتم النبيين : أي لم يجيء نبي بعده إذ لوجاء نبي بعده لكان ولده أهلا للنبوة كما كان أولاد ابراهيم ويعقوب، وداود مثلا.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾[1] الآيات هذا شروع في قصة زواج زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش بنت عمة النبي اميمة بنت عبدالمطلب إنه لما أبطل الله التبني وحرمه بقوله: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وقوله: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ تبع ذلك أن لا يرث الدعى ممن ادعاه، وان لا تحرم مطلقته على من تبنّاه وادعاه وهكذا بطلت الأحكام التى كانت لازمة للتّبنّي، وكون هذا نزل به القرآن ليس من السهل على النفوس التى اعتادت هذه الأحكام في الجاهلية وصدر الإسلام أن تتقبلها وتذعن لها بسهولة فأراد الله تعالى أن يخرج ذلك لحيز الوجود فألهم رسوله أن يخطب زينب لمولاه زيد، واستجابت زينب للخطبة فهماً منها أنها مخطوبة لرسول الله لتكون أماً للمؤمنين ولكن تبين لها بعد ليال أنها مخطوبة لزيد بن حارثة مولى رسول الله وليست كما فهمت وهنا أخذتها الحمية وقالت لن يكون هذا لن تتزوّج شريفة مولى من موالى الناس ونصرها أخوها على ذلك وهو عبدالله بن جحش. فنزلت هذه الآية وما

(١) روى قتادة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته خطبها لمولاه زيد بن حارثة فظنت أن الخطبة له ﷺ فلما تبين انها لمولاه زيد كرهت وأبت وامتنعت فنزلت الآية فاذعنت وقبلت.

كان لمؤمن[1] ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة[2] من أمرهم الآية فما كان منها الا أن قبلت عن رضى الزواج من زيد وتزوجها زيد وبحكم الطباع البشرية فان زينب لم تخف شرفها على زيد وأصبحت تترفع عليه الأمر الذي شعر معه زيد بعدم الفائدة من هذا الزواج فأخذ يستشير رسول الله مولاه ويستأذنه في طلاقها والرسول يأبى عليه ذلك علماً منه أنه إذا طلقها سيزوجه الله بها إنهاءً لقضية جعل أحكام الدُّعى كأحكام الولد من الصُّلب فكان يقول له: اتق الله يا زيد لا تطلق بغير ضرورة ولا حاجة الى الطلاق واصبر على ما تجده من أمرأتك، وهنا عاتب رسول الله ﷺ ربُّه عز وجل إذ قال له: ﴿وإذ تقول﴾[3] أي اذكر إذ تقول ﴿للذي أنعم الله عليه﴾ أي بنعمة الإسلام، ﴿وأنعمت عليه﴾ بأن عتقته ﴿أمسك[4] عليك زوجك واتق الله، وتخفى[5] في نفسك﴾ وهو أمر زواجك منها، ﴿ماالله مُبديه﴾ أي مظهره لا محالة من ذلك ﴿وتخشى[6] الناس﴾ أن يقولوا محمد تزوج امرأة ابنه زيد، ﴿والله أحق أن تخشاه﴾. وقد أراد منك الزواج من زينب بعد طلاقها وانقضاء عدتها هدماً وقضاء على الأحكام التى جعلت الدُّعى كابن الصُّلب.

وقوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ أي حاجته منها بالزواج بها وطلقها ﴿زوجناكها﴾[7] إذ تولينا عقد نكاحها منك دون حاجة الي وليّ ولا إلى شهود ولا إلى مهر أو صداق وذلك من أجل أن لا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، وقوله تعالى: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ أي وما قضى به الله واقعٌ لا محالة وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ أي من إثم أو تضييق فى قول أو فعل شيء افترضه الله تعالى عليه وألزمه به سنة الله في الذين خلوا من قبل من الأنبياء، وكان أمر الله أي مقضيه قدراً مقدوراً أي واقعاً نافذاً لا محالة. وقوله: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ أي

---

(١) هذه الصيغة هي لنفي الحال والشأن فهي أبلغ من صيغ النهي أي أن مثل هذا القول والعمل مما لايكون ولا ينبغي أن يكون نحو قوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) وفي الآية دليل على أن الكفاءة تعتبر في الأديان لافي الأنساب بل هي نص في هذا.

(٢) الخيرة اسم مصدر من تخيَّر ومثلها الطيرة من تطير ولم يسمع على هذا الوزن غيرهما، ووقع لفظ مؤمن ومؤمنة نكرة في سياق النفي فأفادتا العموم.

(٣) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: لو كان رسول الله كاتماً شيئا من الوحي لكتم هذه الآية (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) الآية وكذا قالت في آية عبس وتولى وهو كما قالت رضي الله عنها وأرضاها.

(٤) جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: إن زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل! واني أريد أن أطلقها فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله الآية.

(٥) إن قيل كيف يأمر زيداً بعدم طلاق زينب وهو يعلم انه سيطلقها ويزوجه الله تعالى بها؟ الجواب لا حرج في هذا ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان والإسلام وهو يعلم انه لايؤمن، لأن الأمر لاقامة الحجة ومعرفة العاقبة.

(٦) ما كان يخشاه هو إرجاف المنافقين واليهود قولهم: أينهى عن نكاح زوجة الابن ويتزوج زوجة ابنه زيد.

(٧) روى أن زينب كانت تقول لرسول الله ﷺ اني لادل عليك بثلاث! ما من نسائك امرأة تدل بهن: أن جدى وجدك واحد، وأن الله انكحك اياي من السماء، وأن السفير في ذلك جبريل.

هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يتلفتون الى الناس يقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره، وكفى بالله حسيباً أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسباً عليها ومُجازِبها، وقوله تعالى في ختام السياق ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ لا زيد ولا غيره إذ لم يكن له ولد ذكر قد بلغ الحلم إذ مات الجميع صغاراً وهم أربعة ثلاثة من خديجة وهم القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وهو من مارية القبطية، فلذا لا يحرم عليه أن يتزوج مطلقة زيد لأنه ليس بابنه وان كان يدعى زيد بن محمد قبل إنهاء التبني وأحكامه ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبى بعده فلو كان له ولد ذكر رجلاً لكان يكون نبياً ورسولاً كما كان أولاد ابراهيم واسحق ويعقوب وداود، ولما أراد الله أن يختم الرسالات برسالته لم يأذن ببقاء أحد من أولاد نبيِّه بل توفاهم صغاراً، أما البنات فكبرن وتزوجن وأنجبن ومتن حال حياته الا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر وقوله تعالى: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فما أخبر به هو الحق وما حكم به هو العدل وما شرعه هو الخير فسلموا لله فى قضائه وحكمه فإن ذلك خير وأنفع.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- بيان أن المؤمن الحق لا خِيرة عنده في أمر قضى فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع.

٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة.

٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ.

٤- بيان شدة حياء الرسول ﷺ.

٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألْسِنَة المؤمنين الى يوم الدين.

٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقدنكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك.

٧- تقرير حديث ما تركَ عبد شيئاً لله الا عوضه الله خيراً منه.

٨- إبطال أحكام التَّبني التى كانت في الجاهلية.

٩- تقرير نبوة الرسول ﷺ وكونه خاتم الأنبياء فلا نبيّ بعده.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

اذكروا الله ذكراً كثيراً : أي بقلبوكم والسنتكم.

وسبحوه بكرة وأصيلاً : أي نزهوه بقول سبحان الله وبحمده صباحاً ومساء.

هو الذي يصلي عليكم : أي يرحكمكم.

وملائكته : أي يستغفرون لكم.

ليخرجكم من الظلمات : أي يرحكمكم ليديم اخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

تحيتهم يوم يلقونه سلام : أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم.

وأعد لهم أجراً كريما : أي وهيأ لهم أجراً كريماً وهو الجنة.

معنى الآيات :

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله فقال تعالى لهم ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ لا حد له ولا حصر إذ هو الطاقة التى تساعد على الحياة الروحية، وسبحوه[2] بكرة وأصيلاً بصلاة الصبح وصلاة العصر. وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس. وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلى[3] عليكم وملائكته﴾ وصلاته تعالى عليهم

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر واحد في ترك ذكر الله إلا من غلب عليه عقله وورد في فضل الذكر قوله ﷺ الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل - وقوله وقد جاءه اعرابيان فقال احدهما يارسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فمرني بأمر أتشبث به. فقال ﷺ لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى.

(٢) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده إذ ورد عنه ﷺ وصح من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ما تقدم من ذنبه.

(٣) الصلاة الدعاء والذكر بخير وهي من الله تعالى ثناؤه على العبد بين الملائكة قاله البخاري وقيل صلاة الله تعالى على العبد الرحمة ويكون على النبي الثناء عليه وعلى غير النبي الرحمة وهذا أولى، ولا منافاة بين القولين لقوله تعالى: فاذكروني أذكركم. وهي من الملائكة دعاء واستغفار لقوله تعالى الذي يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمن.

رحمته لهم، وصلاة ملائكته الاستغفار لهم وقوله ليخرجكم من الظلمات أي من ظلمات الكفر والمعاصي الى نور الإيمان والطاعات. فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي سبب الإخراج من الظلمات إلى النور. وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ وهذه علاوة أخرى زيادة على الإكرام الأول وهو الصلاة عليهم وإنه بالمؤمنين عامة رحيم فلا يعذبهم ولا يشقيهم. وقوله ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾[1] أي وتحيتهم يوم القيامة في دار السلام السلام إذْ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلين سلام عليكم أي أمان وأمنةٌ لكم فلا خوف ولا حزن. وقوله ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ أي هيأ لهم وأحضر أجراً كريماً وهي الجنة. فسبحان الله ما أكرمه وسبحان الله ما أسعد المؤمنين. فيا لفضيلة الإيمان وطاعة الرحمن طلب منهم أن يذكروه كثيراً وأن يسبحوه بكرة وأصيلاً وأعطاهم ما لا يقادر قدره فسبحان الله ما أكرم الله. والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب ذكر الله تعالى كثيراً ليل نهار ووجوب تسبيحه صباح مساء.

٢ـ بيان فضل الله على المؤمنين بصلاته عليهم وصلاة ملائكته ورحمته لهم.

٣ـ تقرير عقيدة البعث بذكر بعض ما يتم فيها من سلام الملائكة على أهل الجنة.

٤ـ بشرى المؤمنين الصادقين بالجنة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

---

(١) ورد أن ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه وروي عن البراء بن عازب في قوله تعالى: تحيتهم يوم يلقونه سلام قال فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه.

شرح الكلمات :

شـاهدا	: أي على من أرسلناك إليهم.
ومبشـــراً	: أي من آمن وعمل صالحـاً بالجنـة.
ونـــذيراً	: أي لمن كفر وأشرك بالنار.
وداعيا الى الله بإذنه	: أي وداعياً إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالى.
وسراجـا منيرا	: أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلى سبيل الفلاح.
ولا تطع الكافرين والمنافقين	: أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك[٤].
ودع اذاهـم	: أي أترك أذاهم فلا تُقابلهُ بأذىً آخر حتى تُؤمر فيهم بأمر.
وتوكل على الله	: أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك.

معنى الآيات :

هذا نداء خاص بعد ذلك النداء العام فالأول كان للمؤمنين والرسول إمامهم على رأسهم. وهـذا نداء خاص لمزيد تكريم الرسول وتشريفه وتكليفه أيضاً فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي﴾ محمد ﷺ ﴿إنا أرسلناك﴾[١] حال كونك شاهداً على[٢] من أرسلناك إليهم يوم القيامة تشهد على من أجاب دعوتك ومن لم يجبها، ومبشراً لمن استجاب لك فآمن وعمل صالحاً بالجنة، ونذيراً لمن أعرض فلم يؤمن ولم يعمل خيراً بعذاب النار، وداعياً إلى الله تعالى عباده إليه ليؤمنوا به ويوحدوه ويطيعوه بأمره تعالى لك بذلك، وسراجاً[٣] منيراً يهتدى بك من أراد الاستهداء إلى سبيل السعادة والكمال.

وقوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي أنظر بعد دعوتك إياهم، وبشر المؤمنين منهم أي الذين استجابوا لك وآمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم من الله فضلا كبيراً الاوهو مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنـة دار النعيم المقيم والسلام التام. وقوله تعالى: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما

---

(١) قال القرطبي: هذه الآية فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم.

(٢) قال قتادة شاهداً على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم.

(٣) ورد في الصحيح والموطأ ومسلم أن للرسول ﷺ خمسة اسماء وهي محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب وهل شاهد ومبشر ونذير ورؤوف ورحيم أسماء؟ الظاهر انها صفات ومن عدها اسماء فقد ذكر ابن العربي في أحكامه أن له ﷺ سبعة وستين اسماً.

(٤) عن عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت «يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» وقد كان أمر علياً ومعاذاً رضي الله عنهما ان يسيراً إلى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل عليّ (ياأيها النبي) الآية.

يقترحون عليك من أمور تتنافى مع دعوتك ورسالتك، ودع أذاهم أي اترك أذيتهم واصبر عليهم حتى يأمرك ربك بما تقوم به نحوهم، وتوكل على الله في أمرك كله، فإنه يكفيك وكفى بالله وكيلاً أي حافظاً وعاصماً يعصمك من الناس.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ بيان الكمال المحمدي الذي وهبه إياه ربّه تبارك وتعالى.

٢ـ مشروعية الدعوة الى الله إذا كان الداعى متأهلاً بالعلم والحلم وهما الإذن.

٣ـ حرمة طاعة الكافرين والمنافقين والفجرة والظالمين فيما يتنافى مع مرضاة الله تعالى.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

شـرح الكلـمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه.

إذا نكحتم المؤمنـات[1] : أي إذا عقدتم عليهن ولم تبنوا بهن .

من قبل أن تمسـوهن : أي من قبل الخلوة بهن ووطئهن.

فما لكم عليهن من عدة : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة إذ العدة على المدخول بها.

فمتعوهــن : أي أعطوهن شيئاً من المال يتمتعن به جَبْراً لخاطرهن.

وسرِّحوهن سراحا جميلا : أي اتركوهن يذهبن إلى أهليهن من غير إضرارٍ بهن.

معنى الآيـة الكريمة :

ينـادى الله تعـالى عبـاده المؤمنين المسلمين فيقول لهم معلماً مشرعاً لهم: ﴿إذا نكحتم[2]

---

(١) بمناسبة طلاق زيد لزينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد خطبها رسول ﷺ وزوجه ربه بها وله الحمد ناسب ذكر حكم المطلقة قبل البناء وأنها لا عدة عليها، وإنه لا مهر لها ولكن لها المتعة إن لم يكن قد سمى لها مهراً.

(٢) النكاح حقيقة في الوطء ويطلق ويراد به العقد كما في هذه الآية الكريمة ولم يرد في القرآن الكريم النكاح إلا والمراد منه العقد، لأنه في معنى الوطء، وهذا من أدب القرآن حيث يكنى عن الوطء بمثل المباشرة والملامسة والقربان و التغشي والإتيان.

المؤمنات﴾ أي عقدتم عليهن، ﴿ثم طلقتموهن[1] من قبل أن تمسوهن﴾ أي من قبل الدخول عليهن الذي يتم بالخلوة في الفراش، ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ تعتدونها عليهن لا بالاقراء ولا بالشهور إذْ العدة لمعرفة ما في الرحم وغير المدخول بها معلومة أن رحمها خالية، فإن سميتم لهنّ مهراً فلهن نصف المُسمّى والمتعة على سبيل الاستحباب، وإن لم تسموا لهن مهراً فليس لهن غير المتعة وهي هنا واجبة لهن بحسب يسار المُطلّق وإعْساره وقوله: ﴿وسرحوهن سراحا جميلاً﴾ أي خلوا سبيلهن يذهبن إلى ذويهن من غير إضرار بهن ولا أذى تلحقونه بهن.

هداية الآيـة الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١ـ جواز الطلاق قبل البناء.

٢ـ ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة بل لها أن تتزوج ساعة ما تطلق.

٣ـ المطلقة قبل البناء إن سمى[2] لها صداق فلها نصفه، وإن لم يسم لها صداق فلها المتعة واجبة يقدرها القاضي بحسب سعة المطلق وضيقه.

٤ـ حرمة أذية المطلقة بأي أذى، ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت.

٥ـ مشروعية المتعة لكل مطلقة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ

---

(١) استدل بعض العلماء بقوله تعالى ثم طلقتموهن لما في ثم من المهلة على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح أي العقد، وأن من طلق امرأة قبل العقد عليها طلاقه لاغ لا عبرة به، وأن عينها فانه لا يلزمه هذا مذهب نحو من ثلاثين صحابياً وتابعيا واماما سمى البخاري منهم اثنين وسبعين وفي الحديث لاطلاق قبل النكاح وقال الجمهور ان عينها تطلق وان لم يعينها فلا طلاق عليه.

(٢) استدل الظاهرية بهذه الآية على أن من طلق طلاقاً رجعياً ثم راجع قبل أن تنقضي العدة ثم طلقها قبل أن يمسها انه ليس عليها أن تتم عدتها وليس عليها عدة أخرى قياساً على المطلقة قبل البناء والجمهور على انها تستقبل عدة أخرى وعليه مالك وجمهور فقهاء مكة والكوفة والمدينة.

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

آتيت أجورهن : أي أعطيت مهورهن.

مما أفاء الله عليك : أي مما يسبى كصفية وجويرية.

اللاتى هاجرن معك : أي بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر.

وهبت نفسها للنبي : أي وأراد النبي ان يتزوجها. بغير صداق.

خالصة لك من دون المؤمنين: أي بدون صداق.

قد علمنا ما فرضنا عليهم : أي على المؤمنين.

في أزواجهم : أي من الأحكام كانلايزيدواعلى أربع، وأن لا يتزوجوا الا بولى ومهر وشهود.

وما ملكت أيمانهم : أي بشراء ونحوه وان تكون المملوكة كتابية، وانتستبرأ قبل الوطء.

لكيلا يكون عليك حرج : أي ضيق في النكاح.

معنى الآية الكريمة :

هذا النداء الكريم لرسول ربّ العالمين يحمل لرسول الله ﷺ إجازة ربانية تخفف عنه أتعابه التي يعانيها ﷺ لقد علم الله ما يعاني رسوله وما يعالج من أمور الدين والدنيا فمنّ عليه بالتخفيف

ورفع الحرج فقال ممتناً عليه ﴿يا أيها النبي إنا[1] أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي مهورهن وأحللنا لك﴿ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من سبايا الجهاد كصفية بنت حبيب وجويرية بنت الحارث، ﴿وبنات عمك وبنات[2] عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك[3]﴾ من مكة إلى المدينة.

أما اللاتي لم تهاجر فلا تَحِلّ لك، وامرأة مؤمنة أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة لا كافرة إن وهبت نفسها للنبي بدون مهر وأراد النبي أن يستنكحها حال كون هذه الواهبة خالصة لك دون المؤمنين فالمؤمن لو وهبت له امرأة نفسها بدون مهر لم تحل له بل لا بد من المهر والولي والشهود.

وقوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي على المؤمنين في أزواجهم من أحكام كأن لا يزيد الرجل على أربع، وأن لا يتزوج إلا بولي ومهر وشهود، والمملوكة لا بد أن تكون كتابية أو مسلمة، وأن لا يطأها قبل الاستبراء بحيضة قد علمنا كل هذا وأحللنا لك ما أحلننا خصوصية لك دون المؤمنين وذلك تخفيفاً عليك لكيلا يكون عليك حرج أي ضيق ومشقة وكان الله غفوراً لك ولمن تاب من المؤمنين رحيماً بك وبالمؤمنين.

هداية الآية

من هداية الآية :

١- بيان إكرام الله تعالى لنبيه في[4] التخفيف عليه رحمة به فأباح له أكثر من أربع، وقصر المؤمنين على أربع أباح له الواهبة نفسها أن يتزوجها بغير مهر ولا ولي ولم يبح ذلك للمؤمنين فلا بد من مهر وولي وشهود.

٢- تقرير أحكام النكاح للمؤمنين وأنه لم يطرأ عليها نسخ بتخفيف ولا بتشديد.

٣- بيان سعة رحمة الله ومغفرته لعباده المؤمنين.

---

(١) هذه الآية من المتقدم في التلاوة المتأخر في النزول ونظيرها آيتي الوفاة في البقرة على رأى الجمهور. إذ مضمون هذه الآية التوسعة على الرسول ﷺ اكراماً له لما تحمله من نكاح زينب ثم قصره في الآيات بعد على من تحته من النساء إكراماً لهن ايضاً وذلك في قوله لا يحل لك النساء من بعد. ثم لم يقبض حتى رفع الله تعالى عنه الحظر اكراماً واعلاء من شأنه إذ قالت عائشة. ما مات رسول الله ﷺ وسلم حتى أحل له النساء.

(٢) وحد العم والخال وجمع العمات والخالات لان العم والخال استعمل استعمال أسماء الأجناس الدالة على متعدد واللفظ موحد كالإنسان واللفظ واحد وهو دال على كل انسان من بني آدم.

(٣) المعية هنا «معك» هي الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة إذ أحل له من هاجرت سواء كانت في رفقته أو في رفقة أخرى، ولم يهاجر في رفقته امرأة قط.

(٤) من جملة خصائصه ﷺ أن فرض عليه أموراً لم تفرض على الأمة كقيام الليل مثلا وأباح له أموراً لم تُبَحْ للأمة كنكاح الواهبة بدون مهر، وحرم عليه أموراً لم تحرم على الأمة كحرمة الصدقة ذكر هذه الخصائص القرطبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية.

۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا



شرح الكلـمات :

ترجي من تشاء منهن : أي تؤخر من نسائك .

وتؤوي إليك من تشاء : أي وتضم إليك من نسائك من تشاء فتأتيها .

ومن ابتغيـت : أي طلبت .

ممن عزلـت : أي من القســمة .

فلا جـناح عليك : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك خيره ربه في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه .

ذلك أدنى أن تقر أعينهن : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء أقرب إلى أن تقر أعينهن ولا يحزن .

ويرضين بما آتيتهن : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه ، والعزل والايواء .

والله يعلم ما في قلوبكم : أي من حب النساء ـ أيها الفحول ـ والميل الى بعض دون بعض وإنما خير الله تعالى رسوله تيسيراً عليه لعظم مهامه .

وكان الله عليما حـليما : أي عليما بضعف خلقه حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل التوبة .

لا يحل لك النساء من بعد : أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترنك إكراماً لهن وتخفيفاً عنك .

ولا أن تبدل بهن من ازواج : أي بأن تطلق منهن وتتزوج أخرى بدل المطلقة لا . لا .
ولو أعجبك حسنهن : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتتزوج من أعجبك حسنها .
الا ما ملكت يمينك : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسرى بالمملوكة ، وقد تسرى ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر وولدت له إبراهيم ومات في سن رضاعه عليه السلام .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في شأن التيسير على رسول الله ﷺ والتخفيف فقد تقدم أنه أُحل له النساء يتزوج من شاء مما ذكر له وخصه بالواهبة نفسها يتزوجها بدون مهر ولا ولي وفي هذه الآية الكريمة (٥١) ﴿ترجى من[1] تشاء منهن﴾ الآية وسع الله تعالى عليه بأن أذن له في أن يعتزل وطء من يشاء، وأن يرجىء من يشاء، وأن يؤوي إليه ويضم من يشاء وأن يطلب من اعتزلها إن شاء فلا حرج عليه في كل ذلك، ومع هذا فكان يقسم بَيْنَ نسائه، ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك اللهم إلا ما كان من سودة رضى الله عنها فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشـاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك[2]﴾ وقوله ذلك أدنى أي ذلك التخيير لك في شأن نسائك أقرب أن تقر أعينهن أي يفرحن بك، ولا يحزن عليك، ويرضين بما تتفضل به عليهن من إيواء ومباشرة.

وقوله تعالى ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي أيها الناس من الرغبة في المخالطة، وميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، وإنما خيَّر الله رسوله هذا التخيير تيسيراً عليه وتخفيفاً لما له من مهام لا يطمع فيها عظماء الرجال ولو كان في القوة والتحمل كالجبال أو الجمال.

وقوله تعالى ﴿وكان الله عليما﴾ أي بخلقه وحاجاتهم. حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل ممن تاب التوبة.

---

(١) ترجى بدون همزة وترجىء مهموز لغتان فصيحتان من ارجى وأرجأ الأمر إذا أخره والآية تحمل التوسعة والتخفيف عنه ﷺ فاسقط عنه واحب القسم بين أزواجه ومع هذا فكان يقسم. لأن الآية نفيد التخيير والاذن لا غير.

(٢) الجناح الميل يقال جنحت السفينة إذا مالت إلى الأرض أي لا ميل عليك بلوم أو توبيخ أو عتاب. في الآية وجوب القسمة بين الزوجات والعدل بينهن فيعطي لكل زوجة يوماً وليلة فيقيم عندها في يومها ولو كانت مريضة أو نفساء أو حائضاً وإن مرض هو فكذلك إلا أن يأذن له بالتمريض عند إحداهن كما استأذن رسول الله ﷺ بأن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فاذن له في ذلك.

وقوله تعالى في الآية (٥٢) [1] ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ أي لا يحل لك يا رسولنا النساء بعد هؤلاء التسع اللائى خيرتهن فاخترن الله واخترنك وأنت رسوله واخترن الدار الآخرة فاعترافا بمقامهن قصرك الله عليهن بعد الآن فلا تطلب امرأة أخرى ببدل أو بغير بدل، ومعنى ببدل: أن يطلق منهن واحدة أو أكثر ويتزوج بدلها. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ وقوله ﴿الا ما ملكت يمينك﴾ أي فلا بأس بأن تتسرى بالجارية تملكها وقد تسرى بمارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر مع بغلة بيضاء تسمى الدُّلْدُلْ وهي أول بغلة تدخل الحجاز، وقد أنجبت مارية إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وتوفى في أيام رضاعه عليه وعلى والده ألف ألف سلام.

وقوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ أي حفيظاً عليما فخافوه وراقبوه ولا تطلبوا رضا غيره برضاه فإنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه به حياتكم وإليه مرجعكم بعد مماتكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله بالتيسير والتسهيل عليه لكثرة مهامه.

٢- ما خير الله فيه رسوله لا يصح لأحد من المسلمين اللهم إلا أن يقول الرجل للمرأة كبيرة السن أو المريضة أي فلانة إنى أريد أن أتزوج أُحصن نفسي وأنت كما تعلمين عاجزه فإن شئت طلقتك، وإن شئت تنازلت عن ليلتك فإن اختارت البقاء مع التنازل عن حقها في الفراش فلا بأس بذلك.

٣- في تدبير الله لرسوله وزوجاته من الفوائد والمصالح مالا يقادر قدره.

٤- تقرير مبدأ (ما ترك أحد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه) تجلَّى هذا في اختيار نساء رسول الله ﷺ لله ورسوله والدار الآخرة.

٥- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم التفكير في الخروج عن طاعته بحال من الأحوال.

[تنبيه هام]

إذنُ الله تعالى لرسوله ﷺ بالزواج بأكثر من أربع كان لحكم عالية، وكيف والمشرع هو الله العليم الحكيم من تلك الحكم العالية ما يلي:

---

(١) اختلف في أحكام هذه الآية ونسخها وهل نسخها بالكتاب أو السنة والراجح أنها منسوخة بآية ترجى من تشاء وتؤوي إليك من تشاء ورجح بعضهم نسخها بالسنة إذ قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

(١) اقتضاء التشريع الخاص بالنساء ومنه مالا يطلع عليه إلا الزوجان تَعَدُّدَ الزوجات ليروين الأحكام الخاصة بالنساء، ولصحة الرواية وقبولها فى الأمة تعدد الطرق وكثرة الرواة والروايات.

(٢) تطلُّب الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى مناصرين لها أقوياء ولا أفضل من أصهار الرجل الداعى فإنهم بحكم العرف يقفون إلى جنب صهرهم محقاً أو مبطلاً كان.

(٣) أن المؤمنين لا أحب إليهم من مصاهرة نبي الله ليظفروا بالدخول عليه في بيته والخلوة به وما أعزها. فأي المؤمنين من لا يرغب أن تكون أمه أو أخته أو بنته أما لكل المؤمنين إني والله لا أحب إليّ من أن أكون أنا وزوجتي وسائر أولادي خدماً في بيت رسول الله ﷺ. فلذا وسع الله على رسوله لِيَتَّسع على الأقل للأرامل وربات الشرف حتى لا يدنس شرفهن.

(٤) قد يحتاج رسول الله ﷺ الى مكافأة بعض من أحسن إليه ولم يجد ما يكافئه به ويراه راغباً في مصاهرته فيجيبه لذلك ومن هذا زواجه بكل من عائشة بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) قد زوجه ربّه بزينب وهو كاره لذلك يتهرب منه خشية قالة الناس وما كانوا يعدونه منكراً وهو التزوج بامرأة الدعى المتبنى بعد طلاقها أو موت زوجها هذه بعض الحكم التي اقتضت الإذن لرسول الله ﷺ في التزوج أكثر من أربع مع عامل آخر مهم وهو قدرة رسول الله ﷺ على العدل والكفاية الأمر الذي لن يكون لغيره أبداً.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن

تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا: أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به .

إلا أن يؤذن لكم : أي في الدخول بأن يدعوكم إلى طعام .

غير ناظرين إناه : أي غير منتظرين وقت نضجه أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم المدعوين إليه بأن يستغل أحدكم الاذن بالدعوة للطعام فيأتي قبل الوقت ويجلس في البيت فيضايق رسول الله ﷺ وأهله .

فاذا طعمتم فانتشروا : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين الي بيوتكم أو أعمالكم ولا يبق منكم أحد .

ولا مستأنسين لحديث : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً .

إن ذلكم كان يؤذي النبي : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ

فيستحي منكم : أي أن يخرجكم .

والله لا يستحي من الحق : أن يقوله ويأمر به ولذا أمركم أن تخرجوا .

من وراء حجاب : أي ستر كباب ورداء ونحوه .

أطهر لقلوبكم وقلوبهن : أي من الخواطر الفاسدة .

إن ذلكم كان عند الله عظيما : أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنباً عظيما .

إن تبدوا شيئاً أو تخفوه : أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته أو تخفوه في نفوسكم فسيجزيكم الله به شر الجزاء .

لا جناح عليهن في آبائهن الخ : أي لا حرج على نساء الرسول في أن يظهرن لمحارمهن المذكورين في الآية .

ولا نسائهن : أي المؤمنات أما الكافرات فلا.
ولا ما ملكت أيمانهن : أي من الإماء والعبيد في أن يرونهن ويكملونهن من دون حجاب.
واتقين الله : أي يا نساء النبي فيما أُمرتن به من الحجاب وغيره.

معنى الآيات :

لما بين تعالى لرسوله ما ينبغي له مراعاته من شأن أزواجه أمهات المؤمنين بين تعالى بهذه الآية (٥٤) ما يجب على المؤمنين مراعاته أيضا نحو أزواج النبي أمهاتهم فقال ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ حقا وصدقا ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ بالدخول إلى طعام تطعمونه غير[1] ناظرين إناه أي وقته، وذلك أن هذه الآية والمعروفة بآية الحجاب نزلت في شأن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لما أكلوا طعام الوليمة التى أقامها رسول الله لما زوجّه الله بزينب بنت جحش رضى الله عنها، وكان الحجاب ما فرض بعد على النساء مكثوا بعد انصراف الناس يتحدثون فقام رسول الله ﷺ وخرج أمامهم لعلهم يخرجون فما خرجوا وتردد رسول الله على البيت فيدخل ويخرج رجاء أن يخرجوا معه فلم يخرجوا واستحى ﷺ أن يقول لهم هيا فاخرجوا. فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى، غير ناظرين إناه[2] يعني ذلك النفر ومن يريد أن يفعل فعلهم فإذا وجه إليه أخوه استدعاء لحضور وليمة بعد الظهر مثلاً أتى إلى المنزل من قبل الظهر يضايق اهل المنزل فهذا معنى غير ناظرين إناه أي وقته لأن الإنى هو الوقت.

وقوله ولكن إذا دعيتم فادخلوا أي فلا تدخلوا بدون دعوة أو إذن فاذا طعمتم أي فرغتم من الأكل فانصرفوا منتشرين في الأرض فهذا الى بيته وهذا الى بيت ربه وهذا إلى عمله. وقوله: ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي ولا تمكثوا بعد الطعام يحدث بعضكم بعضاً مستأنسين بالحديث. حرم تعالى هذا عليكم أيها المؤمنون لأنه يؤذى رسوله. وان كان الرسول لكمال أخلاقه لا يأمركم بالخروج حياءً منكم فالله لا يستحي من الحق فلذا أمركم بالخروج بعد الطعام

---

(١) غير ناظرين إناه غير منصوب على الحال والآية تضمنت الأدب في حال الجلوس والطعام كما تضمنت مشروعية الحجاب.

(٢) أي غير منتظرين وقت نضجه، واناه مقصور، وفيه لغات إني بكسر الهمزة وأني بفتح الهمزة والنون وأنا بفتح الهمزة والمد قال الحطيئة:

وأخرت العشاء إلى سهيل   او الشعرى فطال بي الاناء

والفعل أنى يأنى أنى إذا حان وأدرك وفرغ.

مراعاة لمقام رسوله محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾[1] أي طلبتم شيئاً من الأمتعة التي توجد في البيت كإناء ونحوه فاسألوهن من وراء حجاب أي باب وستر ونحوهما لا مواجهة لحرمة النظر إليهن. وقوله ذلكم أطهر لقلوبكم أنتم أيها الرجال وقلوبهن أيتها الأمهات أطهر أي من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب فحل أنثى أو خاطبت امرأة فحلا من الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وما كان لكم﴾ أي ما ينبغي ولا يصح أن تؤذوا رسول الله أي أذىً ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أي ولا أن تتزوجوا بعد وفاته نساءه فإنهن محرمات على الرجال تحريم الأمهات تحريماً مؤبداً لا يحل بحال، وقوله تعالي: ﴿إن ذلكم﴾[2] أي المذكور من أذى رسول الله والزواج من بعده بنسائه كان عند الله أي في حكمه وقضائه وشرعه ذنباً عظيماً لا يقادر قدره ولا يعرف مدى جزائه وعقوبته إلا الله.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) وقوله تعالى إن تبدواشيئاً أي تظهروه أو تخفوه أي تستروه يريد من الرغبة في الزواج من نساء الرسول بعد موته ﷺ فإن الله كان بكل شيء عليماً وسيجزيكم بتلك الرغبة التي أظهرتموها أو أخفيتموها في نفوسكم شرُّ الجزاء وأسوأه. فاتقوا الله وعظموا ما عظم من حرمات رسوله ﷺ. هذا ما دلت عليه الآية (٥٤).

وقوله تعالى في الآية (٥٥) لا جناح عليهن[3] أي لا تضييق ولا حرج ولا إثم على النساء المؤمنات من أزواج النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين في أن يظهرن وجوههن ويكلمن بدون حجاب أي وجها لوجه آباءهن الأب والجد وان علا، وابناءهن الابن وابن الابن وان نزل وابن البنت كذلك وان نزل. واخوانهن وابناء اخوانهن وان نزلوا وأبناء اخواتهن وان نزلوا، ومما ليكهن من إماء وعبيد.

وقوله تعالى ﴿واتقين[4] الله إن الله كان بكل شيء عليما﴾ أمر من الله لنساء النبي ونساء المؤمنين بتقوى الله فيما نهاهن عنه وحرمه عليهن من ابداء الوجه للأجانب غير المحارم المذكورين في

---

(١) روى ابو داود عن أنس بن مالك قال عمر: وافقت ربي في أربع الحديث وفيه قلت يا رسول الله لو ضربت الحجاب على نسائك يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله عز وجل وإذا سألتموهن الآية.

(٢) روى ان رجلاً من المنافقين لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة قال: فما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه فأنزل الله تعالى هذه الآية، فحرم الله نكاح أزاجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات وقال ﷺ زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الأخرة وهذه علة من علل التحريم أيضا.

(٣) روى انه لما نزلت آية الحجاب تساءل الآباء والأقارب: هل نحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية لاجناح عليهن في آبائهن الخ.

(٤) لما ذكر تعالى الرخصة للمحارم أمر النساء بتقواه تعالى فأمرهن بذلك حتى لا يتجاوز من اذن لهن بالنظر إليهم في المحارم إلى غيرهم وذلك لقلة تحفظ النساء وكثرة استرسالهن.

الآية وتذكيرهم بشهود الله تعالى لكل شيء واطلاعه على كل شيء ليكون ذلك مساعداً على التقوى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان ما ينبغي للمؤمنين ان يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت لحاجة الطعام ونحوه.

٢- بيان كمال الرسول ﷺ في خلقه في أنه ليستحي أن يقول لضيفه أُخرج من البيت فقد انتهى الطعام.

٣- وصف الله تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمر به عباده.

٤- مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب ستر ونحوه.

٥- حرمة أذية رسول الله ﷺ وانها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى.

٦- بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة ونظر إليها.

٧- حرمة نكاح ازواج الرسول بعد موته وحرمة الخاطر يخطر بذلك.

٨- بيان المحارم الذين للمسلمة أن تكشف وجهها أمامهم وتخاطبهم بدون حجاب.

٩- الأمر بالتقوى ووعيد الله لمن لا يتقه في محارمه.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

شـرح الكلمات :

يصلون على النبي	: صلاة الله على النبي هي ثناؤه ورضـوانـه عليه، وصـلاة الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه.
صلوا عليه وسلموا تسليما	: أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم تسليما.
يؤذون الله ورسوله	: أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد.
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا	: أي يرمونهم بأمور يوجهونها إليهم تهماً باطلة لم يكتسبوا منها شيئا.
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا	: أي تحملوا كذباً وذنباً بيناً ظاهراً.
يدنين عليهن من جلابيبهن	: أي يرخين على وجههن الجلباب حتى لا يبدو من المرأة إلا عين واحدة تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.
ذلك أدنى أن يعرفن	: أي ذلك الإدناء من طرف الجلباب على الوجه أقرب.
فلا يـؤذيـن	أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.
وكان الله غفوراً رحيماً	: أي غفوراً لمن تاب من ذنبه رحيما بهبقبول توبته وعدم تعذيبه بذنب تاب منه.

معنى الآيـات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة ما يجب على المؤمنين من تعظيم نبيّهم واحترامه حياً وميتاً أعلن في هذه الآية (٥٦) عن شرف نبيّه الذي لا يدانيه شرف وعن رفعته التي لا تدانيها رفعة فأخبر أنه هو سبحانه وتعالى يصلى عليه وأن ملائكته كذلك يصلون[١] عليه وأمر المؤمنين كافة أن يصلوا عليه فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ فكان واجباً على كل مؤمن ومؤمنة أن يصلى على النبي ﷺ ولو مرة في العمر يقول:

---

(١) اختلف في الضمير في يصلون على من يعود والصحيح انه عائد على الله تعالى والملائكة معاً ولا حرج لأنه قول الله تعالى ولله أن يرفع من يشاء من عباده لجمع ضمير الملائكة مع ضميره، وليس هذا من باب ومن يعصهما الذي انكره رسول الله ﷺ إذ ذاك من قول خطيب وهذا قول الله تعالى وليس من حقنا ان نعترض على الله تعالى وروى أن ابن عباس قرأ وملائكته بالرفع أي يصلون وعليه فانفصل الضمير واصبح خاصاً بالله تعالى وهو وجه وما تقدم أولى لقراءة الكافة بالنصب.

اللهم صل على محمد وسلم تسليماً. وقد بينت السنة أنواعاً من صيغ الصلاة والسلام على الرسول أعظمها أجراً الصلاة الإبراهيمية[1] وهي واجبة في التشهد الأخير[2] من كل صلاة فريضة أو نافلة، وتستحب استحبابا مؤكداً عند ذكره ﷺ[3] وفي مواطن أخرى. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٦) أما الآية الثانية (٥٧) فقد أخبر تعالى عباده أن الذين يؤذون الله بالكذب[4] عليه أو انتقاصه بوصفه بالعجز أو نسبة الولد إليه أو الشريك وما إلى ذلك من تصوير الحيوان إذ الخلق اختص به الله فلا خالق الا هو فلا تجوز محاكاته في الخلق، ويؤذون رسول[5] الله ﷺ بسب أو شتم أو انتقاص أو تعرض له أو لآل بيته أو أمته أو سنته أو دينه هؤلاء لعنهم الله في الدنيا والآخرة أي طردهم من رحمته، وأعد لهم أي هيأ واحضر لهم عذاباً مهينا لهم يذوقونه بعد موتهم ويوم بعثهم يوم القيامة. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (٥٨) أما الآية الرابعة (٥٩) فإنه لما كان المؤمنات يخرجن بالليل لقضاء الحاجة البشرية إذ لم يكن لهم مراحيض في البيوت وكان بعض سفهاء المنافقين يتعرضون لهن بالغمز والكلمة السفيهة وهم يقصدون على عادتهم الإماء لا الحرائر فتأذى بذلك المؤمنات وشكون إلى أزواجهن ما يلقين من تعرض بعض المنافقين لهن فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك[6] ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب هو الملاءة أو العباءة تكون فوق الدرع السابغ الطويل، أي مُرْهُنّ بأن يدنين من طرف الملاءة على الوجه حتى لا يبقى إلا عين واحدة ترى بها الطريق، وبذلك يعرفن انهن حرائر عفيفات فلا يؤذيهنّ بالتعرض لهن أولئك المنافقون السفهاء عليهم لعائن الله. وقوله تعالى ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أخبر عباده أنه تعالى كان وما زال غفوراً لمن تاب من عباده رحيماً به فلا يعذبه بعد توبته.

(١) صيغة الصلاة الإبراهيمية هي: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.

(٢) غير ضار أن يقول المالكية الصلاة سنة مؤكدة في التشهد الأخير إذ السنة المؤكدة عند المالكية هي الواجب عند الشافعي وأحمد وإذاً فلا فرق.

(٣) من هذه المواطن بدء الدعاء وختمه، وافتتاح الخطبة بعد حمد الله والثناء عليه ويوم الجمعة وليلتها وورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث منها، حديث مسلم من صلى عليّ مرة صلى الله بها عشراً وروى النسائي أن النبي ﷺ خرج عليهم يوماً والبشر يُرى في وجهه فقالوا إنا لنرى البشر في وجهك فقال: أتاني الملك فقال: «يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً».

(٤) روى البخاري في صحيحه قال قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يقول الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإن شئت قبضتهما.

(٥) من افظع أنواع الأذى الذي تعرض له رسول الله ﷺ انه كان يوماً يصلي حول الكعبة فجاء عقبة بن أبي معيط بسلي جزور ووضعه على ظهره بين كتفيه الشريفتين فجاءت فاطمة وهي جويرية صغيرة فألقته بعيدا عن ظهر أبيها ونالت من المشركين وانصرفت فرضي الله عنها وارضاها.

(٦) تقدم ذكر أزواجه ﷺ وأما بناته ففاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ بيان شرف الرسول محمد ﷺ ووجوب الصلاة والسلام عليه في التشهد الأخير في الصلاة.

٢ـ بيان ما يتعرض له من يؤذي الله ورسوله من غضب وعذاب.

٣ـ بيان مقدار ما يتحمله من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالقول فينسب إليهم ما لم يقولوا أو لم يفعلوا أو يؤذيهم بالفعل بضرب جسم أو أخذ مال أو انتهاك عرض.

٤ـ وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها الا ما كان من عين ترى بها الطريق، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة الى ابداء العين اذ تسبل قماشا على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً والحمد لله.

لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

شـرح الكلـمات :

لئن لم ينته المنافقون : أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان واخفاء الكفر.

والذين في قلوبهم مرض : أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا.

والمرجفون في المدينة : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها كقولهم العدو على مقربة من المدينة أو السرية الفلانية قتل أفرادها وما إلى ذلك.

لنغرينك بهم : أي لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم.

ثم لا يجاورنك فيها الا قليلا : أي في المدينة الا قليلا من الأيام ثم يخرجوا منها أو يهلكوا.

ملعونيـــــن	: أي مبعدين عن الرحمـة .
أينما ثقفوا أخذوا	: أينما وجدوا أخذوا أسرى وقتلوا تقتيلاً .
سنة الله في الذين خَلَوْا من قبل	: أي سن الله هذا سنة فى الأمم الماضية اينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تقتيلاً .
ولن تجد لسنة الله تبديلا	: أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاماً يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته .

معنى الآيـات :

لقد تقدم أن بعض النسوة اشتكين ما يلقينه من تعرض المنافقين لهن عند خروجهن ليلاً لقضاء الحاجة، وأن الله تعالى أمر نساء المؤمنين أن يدنين من جلابيبهن وعلة ذلك أن يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون وكان ذلك إجراءً وقائيا لابد منه، ثم أقسم الجبار بقوله ﴿لئن لم ينته المنافقون[1]﴾ أي وعزتي وجلالي لئن لم ينته هؤلاء المنافقون من نفاقهم وأعمالهم الاستفزازية والذين في قلوبهم مرض الشهوة وحب الفجور والمرجفون الذين يكذبون الأكاذيب المرجفة أي المحركة للنفوس كقولهم: العدو زاحف على المدينة والسرية الفلانية انهزمت أو قتـل أكثر افرادها لئن لم ينته هؤلاء لنغرينك[2] بهم أي لنحرشنَّك بهم ثم لنسلِّطنَّك عليهم. ثم لا يجـاورونـك فيهـا أي في المدينة الا قليلا، ثم يُخرجوا منها أو يُهلكوا ملعونين أي يخرجون ملعونين أي مطرودين من الرحمة الإلهية التي تصيب سكان المدينة النبوية، وحينئذٍ أينما ثقفوا أي وجدوا وتُمكن منهم أخذوا أي أسرى وقتلوا تقتيلاً حتى لا يبقى منهم أحد.

هذا ما دلـت عليه الآية الأولـى (٦٠) ﴿لئن لم ينتـه المنـافقـون. . ﴾ والثـانية (٦١) ﴿ملعونين. . . ﴾ الخ. أما الآية الثالثة (٦٢) سنة الله[3] في الذين خلوا من قبل، أي لقد سن الله تعالى هذا سنة في المنافقين من أنهم إذا لم ينتهوا يلعنون ثم يُسلط عليهم من يأخذهم ويقتلهم تقتيلاً، وقوله: ولن[4] تجد لسنة الله تبديلاً يُخبر تعالى أن ما كان من قبل السنن كالطعام

---

(١) يرى الكثيرون أن الصفات الثلاث لجنس واحد وهم المنافقون فقد اجتمعت فيهم هذه الصفات الثلاث والواو مقحمة وليست للعطف وشاهده قو الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فهو رجل واحد بثلاث صفات.

(٢) لنغرينك اللام للقسم أي وعزتنا وجلالنا لنغرينك.

(٣) سنه منصوب على المصدر أي سنّ الله تعالى ذلك سنة ثم أضيف المصدر إلى فاعله.

(٤) الجملة تذييلية المراد بها تأكيد العذاب الحائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهو أو يتوبوا والمعنى لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً.

يشبع والماء يروى والنار تحرق والحديد يقطع لا يبدله تعالى بل يبقى كذلك لأنه مبْني على أساس الحِكم التشريعية.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بالمنافقين وتهديدهم بامضاء سنة الله تعالى فيهم إذا لم يتوبوا.

٢ـ مشروعية إبعاد أهل الفساد من المدن الإسلامية أو يتوبوا بترك الفساد والإفساد، وخاصة المدينة النبوية الشريفة.

٣ـ بيان ان ما كان من الأشياء من قبل السنن لا يتبدل بتبدل الأحوال والظروف بل يبقى كما هو لا يبدله الله تعالى ولا يغيره.

يَسْأَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

يسألك الناس عن الساعة: أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة فاليهود سألوه امتحاناً والمشركون تكذيبا بها واستعجالا لها.

قل إنما علمها عند الله: أي أجب السائلين قائلاً انما علمها عند ربي خاصة فلم يعلمها غيره.

وما يدريك: أي لا أحد يدريك أيها الرسول أي يخبرك بها إذ علمها لله وحده.

لعل الساعة تكون قريبا : أي وما يشعرك أن الساعة قد تكون قريبة القيام.

واعد لهم سعيرا : أي ناراً متسعرة.

خالدين فيها : أي مقدراً خلودهم فيها إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها.

تقلب وجوههم في النار : أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم عند شيّه يقلب في النار.

يا ليتنا اطعنا الله : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول.

وقالوا ربّنا إنا اطعنا سادتنا : هذا قول الأتباع يشكون الى الله سادتهم ورؤساءهم.

فأضلونا السبيلا : أي طريق الهدى الموصل إلى رضا الله عز وجل بطاعته.

آتهم ضعفين من العذاب : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا.

والعنهم لعناً كبيراً : أي أخزهم خزياً متعدد المرات في عذاب جهنم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾[1] أي ميقات مجيئها والسائلون مشركون وأهل الكتاب فالمشركون يسألون عنها استبعاداً لها فسؤالهم سؤال استهزاء واليهود يسألون امتحانا للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمره تعالى أن يجيب السائلين بجواب واحد وهو إنما علمها عند الله، أي انحصر علمها في الله تعالى إذ أخفى الله تعالى أمرها عن الملائكة والمقربين منهم والأنبياء والمرسلين منهم كذلك فضلاً عن غيرهم فلا يعلم وقت مجيئها الا هو سبحانه وتعالى. وقوله تعالى: ﴿وما يدريك﴾ أي لا أحد يعلمك بها أيها الرسول، وقوله ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أي وما يشعرك يا رسولنا لعل الساعة تكون قريبة القيام وهي كذلك قال تعالى: ﴿اقترب الناس حسابهم﴾ وقال ﴿اقتربت الساعة﴾ فأعلَمَ بالقرب ولم يعلم بالوقت لحكم عالية منها استمرار الحياة كما هي[2] حتى آخر ساعة.

وقوله تعالى: ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً﴾ المكذبين بالساعة المنكرين لرسالتك الجاحدين بنبوتك لعنهم فطردهم من رحمته أعد لهم ناراً مستعرة في جهنم خالدين فيها إذا دخلوها لم

---

(١) شاهد قرب الساعة في السنة قوله ﷺ في الصحيح بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى. وحذفت التاء من قريبا ذهاباً بالساعة إلى اليوم كما حذفت من قريب في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ذهابا بالرحمة إلى العفو.

(٢) من الحكم العالية لإخفاء الساعة أن يكون العبد مستعداً لها بالإيمان وصالح الأعمال في كل وقت وكذلك ساعة الفرد وهي الموت.

يخرجوا منها أبداً ﴿ لا يجدون ولياً ﴾ أي يتولاهم فيدفع العذاب عنهم ﴿ولا نصيراً﴾ أي ينصرهم ويخلصهم من محنتهم في جهنم. وقوله: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾[1] تصرف من جهة إلى جهة كما يقلب اللحم عند شيّه يقولون عند ذلك يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول يتحسرون متمنين لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ولم يكونوا عصوا الله والرسول. وقوله تعالى: ﴿وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾[2] هذه شكوى منهم واعتذاراً وانى لهم أن تقبل شكواهم وينفعهم اعتذارهم. اطعناهم فيما كانوا يأمروننا به من الكفر والشرك وفعل الشر فاضلونا السبيلا أي طريق الهدى فعشنا ضالين ومتنا كافرين وحشرنا مع المجرمين. ﴿ربنا﴾ أي يا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي ضاعف يا ربنا لسادتنا وكبراءنا الذين أضلونا ضاعف لهم العذاب فعذبهم ضِعْفى عذابنا، والعنهم أي واخزهم في العذاب خزياً كبيراً يتوالى[3] عليهم دائماً وأبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن علم الساعة استأثر الله به فلا يعلم وقت مجيئها غيره.

٢- بيان أن الساعة قريبة القيام، ولا منافاة بين قربها وعدم علم قيامها.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر احوال الكافرين فيها.

٤- بيان أن طاعة السادة والكبراء في معاصي الله ورسوله يعود بالوبال على فاعليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) وجائز أن تقلب الوجوه أيضا من لفح النار من الاسوداد إلى الاخضرار.

(٢) قرىء ساداتنا بكسر التاء جمع سيد.

(٣) الضعف بكسر الضاد العدد المماثل للمعدود فالأربعة ضعف الاثنين وقرى كثيرا وكبيراً وكثيراً يناسب قولهم ضعفين.

وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله .

لا تكونوا كالذين آذوا موسى : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو اسرائيل مع موسى إذ آذوه بقولهم إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر.

فبرأه الله مما قالوا : أي أراهم أنه لم يكن به أُدرة وهي انتفاخ احدى الخصيتين .

وكان عند الله وجيهاً : أي ذا جاهٍ عظيم عند الله فلا يُخيَّبُ له مسعىً ولا يرد له مطلباً .

وقولوا قولا سديداً : أي صدقاً صائباً.

يصلح لكم أعمالكم : أي الدينيَّة والدنيوية إذْ على الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال والفوز بثمارها.

فقد فاز فوزاً عظيماً : أي نال غاية مطلوبة وهو النجاة من النار ودخول الجنة .

إنا عرضنا الأمانـة : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية وما ائتمنه عليه أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل .

فأبين ان يحملنها وأشفقن منها : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة تضييعها .

وحملها الإنسـان : أي آدم وذريّته .

إنه كان ظلوما جهولاً : أي لأنه كان ظلوماً أي كثير الظلم لنفسه جهولاً بالعواقب .

ليعذب الله المنافقين : أي وتحملها الإنسان قضاء وقدراً ليرتب الله تعالى على ذلك عذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب على المؤمنين والمؤمنات فيغفر لهم ويرحمهم وكان الله غفوراً رحيماً.

معنى الآيات :

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ينادى الله تعالى مؤمني هذه الأمة ناهياً لهم عن أذى نبيّهم بأدنى أذى، وأن لا يكونوا كبنى اسرائيل الذين آذوا موسى في غير موطن ومن ذلك ما ذكره ﷺ عنه في قوله من رواية مسلم[1] أن بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض، وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: ما منعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه[2] على حجر وأخذ يغتسل وإذا بالحجر يهرب بالثوب فيجرى موسى وراءه حتى وقف به على جمع من بنى اسرائيل فرأوا أنه ليس به أُدره ولا برص كما قالوا فهذا معنى فبرّأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها أي ذا جاه عظيم.

ومما حصل لرسول الله ﷺ من أذى أذاه في إتهام زوجه بالفاحشة من قبل أصحاب الإفك وقول بعضهم له وقد قسم مالاً هذه قسمة ما أُريد به وجه الله.

وقول بعضهم اعدل فينا يا رسول الله فقال له ويحك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل؟

وكان يقول يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر!! هذا ما دلت عليه الآية الاولى (٦٩) أما الآية الثانية (٧٠) فقد نادى تعالى عباده المؤمنين الذين نهاهم عن أذيّة نبيهم وأن لا يكونوا في ذلك كقوم موسى بن عمران ناداهم ليأمرهم بأمرين الأول بتقواه عز وجل إذ قال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله. ﴿اتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه. فأدوا فرائضه واجتنبوا محارمه. والثاني بالتزام القول الحق الصائب السديد[3]، ورتّب على الأمرين صلاح أعمالهم ومغفرة ذنوبهم إذ قول الحق والتزام الصدق مما يجعل الأقوال والأعمال مثمرة نافعة، فتثمر زكاة النفس وطهارة الروح. ثم أخبرهم مبشراً إياهم بقوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الأمر والنهي فقد فاز فوزاً عظيماً وهي سعادة الدارين: النجاة من كل مخوف والظفر بكل محبوب مرغوب ومن

---

(١) ورواه البخاري بمعناه أيضاً.

(٢) قال أهل العلم في وضع موسى ثوبه على حجر ودخوله الماء عرياناً دليل على جواز مثل هذا الصنيع وهو كذلك، وهذا الجواز لا يتنافى الاستحباب إذ التستر مستحب بلا خلاف.

(٣) القول السديد هو لا إله إلا الله وهو القصد الحق وهو الذي يوافق ظاهره باطنه، وهو ما أريد به وجه الله دون سواه فالقول السديد الصائب يشمل كل هذا الذي ذكر.

ذلك النجاة من النار ودخول الجنة. هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ وقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ يخبر تعالى منبهاً محذراً فيقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾[1] وهي شاملة للتكاليف الشرعية كلها ولكل ما أئتمن عليه الإنسان من شيء يحفظه لمن ائتمنه عليه حتى يرده إليه عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال بعد أن خلق لها عقلاً ونطقاً ففهمت الخطاب وردت الجواب فأبت تحملها بثوابها واشفقت وخافت من تبعتها، وعرضت على الإنسان آدم فحملها بتبعتها من ثواب وعقاب لأنه كان ظلوماً لنفسه يوردها موارد السوء جهولاً بعواقب الأمور. هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (٧٢) وهي قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً[2] جهولاً. وقوله تعالى: ﴿ليعذبَ[3] الله المنافقين والمنافقات[4] والمشركين والمشركات﴾ أي بتبعة النفاق والشرك، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي تَمَّ عرضُ الأمانة وقبولُ آدم لها ليؤول الأمر إلى أن يكفر بعض أفراد الإنسان فيعذبوا بكفرهم الذي نجم عن تضييع الأمانة، ويؤمن بعض آخر فيفرط بعض التفريط ويتوب فيتوب الله عليه فيغفر له ويدخله الجنة وكان الله غفوراً رحيماً ومن آثار ذلك أن تاب الله على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم ورحمهم بإدخالهم الجنة فسبحان الله المدبر الحكيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب المناهي.

٢ـ صلاح الأعمال لتثمر للعاملين الزكاة للنفس، وطيب الحياة متوقف على التزام الصدق في

---

(١) روى معمر عن الحسن أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال قالت وما فيها؟ قيل لها إن احسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال وما هي؟ قال إن احسنت اجرتك وإن أسأت عذبتك قال فقد تحملتها يارب. قال مجاهد فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر.

(٢) فكان الإنسان فريقين فريق ظلوم وفريق راشد عالم.

(٣) ليعذب اللام متعلقة بحمل أي حملها ليعذب العاصي ويثاب المطيع فهي لام التعليل وتعذيبهم نتيجة إضاعتهم الأمانة، ورحمة المؤمنين والمؤمنات نتيجة محافظتهم على الأمانة برعايتهم لها وسر ذلك أن التكاليف عملها يزكى النفس ويطهرها فتتأهل للجنة، وعدم عملها بتركها بسبب خبث النفس وهو يؤهل للنار وعذابها.

(٤) ذكر المنافقات والمشركات لأن المقام كمقام الإشهاد يتطلب ذكر الشاهد إقامة للحجة وإظهاراً للعدالة ولأن الجزاء العادي يتطلب التنصيص على من يقضي له أو عليه.

القول والعمل وهو القول السديد المنافى للكذب والانحراف في القول والعمل .

٣ـ طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الدارين .

٤ـ وجوب رعاية الأمانة وأدائها ، ولم يخل أحد من أمانة .

٥ـ وصف الإنسان بالظلم والجهل وبالكفر والمهانة والضعف في آيات أخرى يستلزم طلب علاج لهذه الصفات . وعلاجها جاء مبيناً في سورة المعارج في قوله ﴿الا المصلين﴾ الى قوله ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ .

سُورَةُ سَبَإٍ (١)

مكيـــة

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

شـرح الكلمـات :

الحمد للـه : أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له .

الذي له مافي السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصريفاً وتدبيراً .

وله الحمد في الآخرة : أي يحمده فيها أولياؤه وهم في رياض الجنان، كما له الحمد في الدنيا .

وهو الحكيم الخبير : أي الحكيم في أفعاله الخبير بأحوال عباده .

يعلم ما يلج في الأرض : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز .

وما يخرج منها : أي من نبات وعيون ومعادن .

وما ينزل من السماء : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها .

---

(١) هذه السورة «الحمد لله» هي إحدى خمس سور مفتتحة بالحمد لله وهن كلهن مكيات أولهن الفاتحة وآخرهن فاطر.

وما يعرج فيها : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت.

وهو الرحيم الغفور : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين.

معنى الآيتين :

يخبر تعالى عباده بأن له الحمد[1] والشكر الكاملين التامين، دون سائر خلقه، فلا يحمد على الحقيقة إلا هو أما مخلوقاته فكل ما يُحمد له هو من عطاء الله تعالى لها وإفاضته عليها فلا يستحق الحمد على الحقيقة الا الله، كما أخبر تعالى بموجب حمده وشكره وهو أن له ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً وتصريفاً وليس لأحد سواه من ذلك شيء هذا في الدنيا،[2] ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ إذ يكرم أولياءه فينزلهم دار السلام فيحمدونه على ذلك ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ في تصريف أمور عباده وسائر مخلوقاته وتدبيرها الخبير بأحوالها العليم بصفاتها الظاهرة والباطنة.

وقوله ﴿يعلم ما يلج﴾ أي ما يدخل[3] في الأرض من مطر وكنوز وأموات، ﴿وما يخرج منها﴾ أي من الأرض من نبات ومعادن ومياه، وما ينزل من السماء من أمطار وملائكة وأرزاق،[4] ﴿وما يعرج فيها﴾ أي يصعد من ملائكة وأعمال العباد. وهو مع هذه القدرة والجلال والكمال هو وحده الرحيم بعباده المؤمنين الغفور للتائبين. بهذه الصفات الثابتة للذات الإلهية وهي صفات جلال وجمال وكمال استحق الرب تعالى العبادة دون سواه فكل تأليه لغيره هو باطل ومنكر وزور يجب تركه والتخلي عنه، والتنديد بفاعله حتي يتركه ويتخلى عنه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ وجوب حمد الله تعالى[5] وشكره بالقلب واللسان والجوارح والأركان.

---

(١) الحمد الكامل والثناء الشامل كله لله، إذ النعم كلها منه وله الحمد في الأولى لأنه المالك وله الحمد في الآخرة كذلك.

(٢) الجملة عطف على الصلة أي والذي له الحمد في الآخرة، وفيها إشارة إلى أنه مالك الأمر في الآخرة.

(٣) الذي يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها يعلم من باب أولى ما يدب على سطحها وما يزحف فوقها والذي يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعلم من باب أولى ما يجول في ارجائها ويعلم سير كواكبها.

(٤) وكذا من الثلوج والبرد والصواعق.

(٥) حمده تعالى نفسه دليل على أنه محب الحمد. ولذا كان الحمد رأس الشكر وشاهده قول الرسول ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى انه حمد نفسه.

٢ـ بيان أن الحمد لا يصح إلا مع مقتضيه من الجلال والجمال.

٣ـ لا يحمد في الآخرة إلا الله سبحانه وتعالى.

٤ـ بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه.

٥ـ تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

لا تأتينا الساعة	: أي القيامة.
لا يعزب عنه	: أي لا يغيب عنه.
مثقال ذرة	: أي وزن ذرة: أصغر نملة.

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : أصغر من الذرة ولا أكبر منها.
إلا في كتاب مبين : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه.
ليجزي الذين آمنوا : أي اثبته في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزى صاحبه.
والذين سعوا في آياتنا : أي عملوا على إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم.
معاجـــزين : أي مغالبين لنا ظانين عجزنا عنهم، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم ولا نحاسبهم ولا نجزيهم.
عذاب من رجز أليم : أي عذاب من أقبح العذاب وأسوأه.
ويرى الذين اوتوا العلم : أي ويعلم الذين اوتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب كعبدالله ابن سلام وأصحابه.
الذي أنزل إليك من ربك هو الحق : أي القرآن هو الحق الموحى به من الله تعالى.
ويهدي إلى صراط العزيز
الحميد : أي القرآن يهدي إلى صراط الله الموصل الى رضاه وجواره الكريم وهو الإسلام. والعزيز ذو العزة والحميد المحمود.

معنى الآيـات :

بعد ما قررت الآيات السابقة توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ذكر تعالى في هذه الآيات تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى مخبراً بما قاله منكروا البعث والجزاء: ﴿وقال الذين[1] كفروا لا تأتينا الساعة﴾[2] وهو انكار منهم للبعث إذ السـاعة هي ساعة الفناء والبعث بعدها، وأمر رسوله أن يقول لهم: ﴿بلى وربّي لتأتينكم﴾ أي أقسم لهم بالله تعالى ربه ورب كل شيء لتأتينهم أحبوا أم كرهوا ثم أثنى الرب تبارك وتعالى على نفسه بصفة العلم إذ البعث يتوقف على العلم كما يتوقف على القدرة والقدرة حاصلة،إذ خلقهم ورزقهم ويميتهم. فذكر تعالى أنه عالم[3] الغيب وهو كل ما غاب في السموات وفي الأرض. وأخبر أنه لا يعزب أي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة[4] أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر أيضاً إلا في كتاب مبين أي

(١) روى أن أبا سفيان هو الذي قال هذه المقالة حيث قال لإخوانه من أهل الكفر بمكة واللات والعزى لاتأتينا الساعة ابداً ولا نبعث فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليه دعواه بقوله (قل بلى وربي لتبعثن) الآية.
(٢) الساعة علم بالغلبة في القرآن على يوم القيامة وساعة النشر والحشر.
(٣) قرأ نافع وعنه ورش عالم بالرفع على الابتداء وقرأ حفص بالخفض نعت لاسم الجلالة.
(٤) قال القرطبي مثقال ذرة أي قدر نملة صغيرة.

بيِّن وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل أحداث العالم فلا حركة ولا سكون وقع أو يقع في الكون الا وله صورته ووقته في اللوح المحفوظ.

هذا ما تضمنته الآية الثالثة وقوله تعالى في الآية (٤) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي إذ الحكمة من كتابة الأحداث صغيرها وكبيرها ومن البعث الآخر هي ليجزي تعالى الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض والسنن بما ذكر من جزائهم في قوله: ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة وقوله في الآية (٥) ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بيِّن فيه جزاء الكافرين بعد أن بين جزاء المؤمنين ذلك الجزاء الذي هو حكمة وعلّة البعث وكتابة الأعمال في اللوح المحفوظ فقال: ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين[١]﴾ أي والذين عملوا جهدهم في إبطال آيات الله إذ قالوا فيها أنها من كلام الكهان وانها شعر وأساطير الأولين حتى لا يؤمنوا ولا يوحدوا أولئك البعداء في الخسّة والانحطاط لهم جزاء، عذاب من رجزٍ أليم[٢] والرجز سيء العذاب وأشده ومعنى أليم أي ذي ألم وإيجاع شديد.

وقوله تعالى: في الآية (٦) ويرى الذين أوتوا العلم[٣]، أي ويعلم علماء أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب. الذي أنزل إليك من ربك وهو القرآن الكريم هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد، وعلم أهل الكتاب بأن القرآن حقٌ ناتج عن موافقته لما في كتاب الله التوراة من عقيدة القدر وكتابة الأعمال دقيقها وجليلها في اللوح المحفوظ ليجزى بها الله تعالى المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

هذا ما دلت عليه الآية (٦) والأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ويعلم﴾ أي وليعلم ﴿الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو الإسلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير توحيد الألوهية.

٢ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ.

٣ـ طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن.

٤ـ تقرير النبوة إذ القرآن فرع نبوة الرسول ﷺ ودليلها المقرر لها.

---

(١) قال القرطبي أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا وما في التفسير أشمل وأوضح.

(٢) قرأ نافع بجر أليم نعتٌ لرجز وقرأ حفص برفع أليم نعت لعذاب المرفوع.

(٣) على هذا التفسير أن الآية مدنية كما قال بعضهم حيث استثناها من آيات السورة وجائز أن يراد بالذين أوتو العلم أبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب والأصحاب رضوان الله عليهم إذ هم من أولى العلم.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾

شـرح الكلمات :

وقال الذين كفـروا : أي قـال بعضهم لبعض على جهة التعجيب.

هل ندلكم على رجل : أي محمد صلى الله عليه وسلم.

إذا مُزقتم كل ممزق : أي قطعتم كل التقطيع.

إنكم لفي خلق جديد : أي تبعثون خلقاً جديداً لم ينقص منكم شيء.

أم به جنـة : أي جنـون تخيّل له بذلك.

بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد : أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو جنونه. بل الأمـر الثابت والـواقـع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في الآخرة، وفي الضلال البعيد في الدنيا.

أفلم يروا : أي ينظـروا.

إلى ما بين أيديهم وما خلفهم: أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من كل جهة من السماء والأرض.

أو نسقط عليهم كسفاً : أي قطعاً جمع كِسفة أي قطعة.

إن في ذلك لآيـة : أي علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله عليهم.

لكل عبد منيب : أي لكل مؤمن منيب إلى ربّه رجّاع إليه في أمره كله.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء إنه لما قررها تعالى في الآيات قبل أورد هنا ما يتقاوله المشركون بينهم في تهكم واستهزاء واستبعاد للحياة الآخرة. فقال تعالى حاكيا قولهم: ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة أي بعضهم لبعض متعجبين ﴿هل ندلكم[1] على رجل﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ينبئكم﴾ أي يخبركم بأنكم إذا متم وتمزقت لحومكم وتكسرت عظامكم وذهبتم في الأرض تراباً تبعثون في خلق جديد بعد أن مزقتم كل ممزق[2] أي كل التمزيق فلم يبق شيء متصل ببعضه بعضاً. ﴿أفترى على الله كذباً﴾[3] أي محمد فكذب على الله هذا القول وزوره عنه وادعى أنه أخبره بوجود بعث جديد للناس بعد موتهم لحسابهم وجزائهم؟! أم به جنة أي به مس من جنون فهي تخيل له صور البعث وما يجرى فيه وهو يخبر به ويدعو إلى الإيمان به؟ وهنا رد الله تعالى عليهم كذبهم وباطلهم فقال﴿بل الذين لا يؤمنون[4] بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ أي ليس الأمر كما يقولون من أن النبي افترى على الله كذباً، أو به جنون فتخيل له البعث وانما الأمر الثابت والواقع المقطوع به ان الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب يوم القيامة. وفي الضلال البعيد اليوم في الدنيا وشؤمهم أتاهم من تكذيبهم بالآخرة.

ثم قال تعالى مهدداً لهم لعلهم يرتدعون عن التهجم والتهكم بالنبي ﷺ ﴿أفلم يروا﴾ أي أعموا فلم يروا الي ما بين أيديهم[5] وما خلفهم من السماء والأرض أفلم ينظروا كيف هم محاطون من فوقهم ومن تحتهم ومن أمامهم ومن ورائهم أي الأرض تحتهم والسماء فوقهم ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ فيعودون فيها ﴿أو نسقط عليهم كسفاً[6]﴾ أي قطعاً من السماء فتهلكهم عن آخرهم فلا يجدون مهرباً والجواب لا، لأنهم مهما جروْا هاربين لا تزال السماء فوقهم والأرض تحتهم والله قاهر لهم متى شاء خسف بهم أو أسقط السماء عليهم. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك

---

(١) الاستفهام مستعمل في العرض مثل: (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي يعرض عليه ما هو صالح له. والاستفهام في الآية وإن كان للعرض فهو مكنى به عن التعجب أي هل ندلكم على أعجوبة وهي رجل ينبئكم بهذا النبأ.

(٢) التمزق والتفرق والتشتت.

(٣) هذه الجملة (افترى) صفة ثانية لرجل والصفة الأولى هي قوله ينبئكم.

(٤) في الجملة إدماج يصف به حالهم في الآخرة مع وصف حالهم في الدنيا إذ أخبر انهم في الآخرة في العذاب وفي الدنيا في الضلال البعيد.

(٥) المراد بما بين ايديهم هو ما يستقبله الإنسان من الكائنات السماوية والأرضية، وبما خلفهم وهو ما وراء الإنسان من الكائنات الأرضية والسماوية.

(٦) قرأ نافع كِسفاً بسكون السين وقرأ حفص بفتحها.

لآية لكل عبد منيب﴾ أي إن في ذلك المذكور من إحاطة السماء والأرض وقدرة الله على خسف من شاء خسف الأرض بهم وإسقاط كِسَفٍ من السماء على من شاء ذلك لهم آية. وعلامة بارزة على قدرة الله على إهلاك من شاء ممن كفروا بالله وبرسوله وكذبوا بلقائه. وكون المذكور آية لكل عبد منيب دون غيره لأن المنيب هو الرجاع إلى ربه كلما أذنب آب لخشيته من ربه فالخائف الخاشي هو الذي يجد الآية واضحة أمامه في إحاطة الأرض والسماء بالإنسان وقدرة الله على خسف الأرض به أو إسقاط السماء كسفاً عليه.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي ﷺ.

٢- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه.

٣- لفت الأنظار الى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه فيؤمن به ويعبده ويوحده.

٤- فضل الإنابة إلى الله وشرف المنيب. والإنابة الرجوع الى التوبة بعد الذنب والمعصية، والمنيب الذي رجع في كل شيء إلى ربه تعالى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ

ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا داود منا فضلاً : أي نبوة وملكاً.

يا جبال أوِّبى معه : أي وقلنا يا جبال أوِّبى معه أي رجعى معه بالتسبيح.

والطير : أي والطير تسبح أيضاً معه.

وألنَّا له الحديد : أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كما يشاء.

أن اعمل سابغات : أي دروعاً طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف.

وقدر في السرد : أي اجعل المسمار مناسبا للحلقة، فلا يكن غليظاً ولا دقيقاً، أي اجعل المسامير مقدرة على قدر الحلق لما يترتب على عدم المناسبة من فساد الدرع وعدم الانتفاع بها.

ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر : أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من الغداة الى منتصف النهار مسيرة شهر ورواحها من منتصف النهار الى الليل شهر كذلك أي مسافة شهر.

وأسلنا له عين القطر : أي وأسلنا له عين النحاس.

ومن يزغ منهم : أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه نذقه من عذاب السعير.

من محاريب : جمع محراب المقصورة تكون الى جوار المسجد للتعبد فيها.

وجفان كالجواب : أي وقصاع في الكبر كالحياض التى حول الآبار يجبى إليها الماء.

وقدور راسيات : أي وقدور كبار ثابتات على الأثافى لكبرها لا تحول.

إلا دابة الأرض : أي الأرضـة.

تأكل منسأته : أي عصــاه بلغة الحبشة.

فلما خـــر : أي سقط على الأرض ميتـاً.

تبينت الجـن : أي انكشـف لها فعرفت.

في العذاب المهين : وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة.

معنى الآيـات :

يذكر تعالى في هذا السياق الكريم مظاهر قدرته وإنعامه على عباده المؤمنين ترغيباً في طاعته وترهيباً من معصيته فيقول: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾[1] وهو النبوة والزبور «كتاب» والملك. وقلنا للجبال ﴿أوِّبي مع سليمان﴾ أي ارجعي صوت تسبيحه[2] والطير أمرناها كذلك فكان إذا سبح ردد تسبيحه الجبال والطير. وهذا تسخيرٌ لا يقدر عليه الا الله. وقوله: ﴿وألنّا له الحديد﴾[3] وهذا امتنان آخر وهو تسخير الحديد له وتليينه حتى لكأنه عجينة يتصرف فيها كما شاء، وقلنا له اعمل دروعا طويلة سابغاتٍ تستتر بها في الحرب، (وقدر في السرد)[4] وقوله ﴿واعملوا صالحاً﴾[5] أي اعملوا بطاعتي وترك معصيتي فأدوا الفرائض والواجبات واتركوا الاثم والمحرمات. وقوله: ﴿إني بما تعملون بصير﴾ فيه وعدٌ ووعيد إذ العلم بالأعمال يستلزم الثواب عليها إن كانت صالحة والعقاب عليها إن كانت فاسدة.

وقوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح﴾ أي سخرنا لسليمان بن داود الريح ﴿غُدُوها شهر ورواحها شهر﴾ أي تقطع مسافة شهر في الصباح، وأخرى في المساء أي من منتصف النهار إلى الليل فتقطع مسيرة شهرين في يوم واحد، وذلك أنه كان لسليمان مركب من خشب يحمل فيه الرجال والعتاد وترفعه الجان من الأرض فإذا ارتفع جاءت عاصفة فتحملها ثم تتحول الى رخاء فيوجه سليمان السفينة حيث شاء بكل ما تحمله وينزل بها كسفينة فضاء تماماً. وقوله تعالى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ وهو النحاس فكما ألآن لداود الحديد للصناعة أجرى لسليمان عين النحاس لصناعته فيصنع ما شاء من آلات وأدوات النحاس.

---

(١) بين تعالى بهذه الآية أن إرسال نبيه محمد ﷺ لم يكن أمراً خارقاً للعادة ولا منافياً لمقتضيات العقول إذا أرسل من قبله رُسلاً وآتى داود من الإنعام ما قرر به رسالته وأثبت به نبوته وكذا ولده سليمان عليهما السلام.

(٢) والطير منصوب بالعطف على المنادى «ياجبال». لأن المعطوف المعرف على المنادي يجوز نصبه ورفعه والنصب أولى.

(٣) الحديد تراب معدني إذا صهر بالنار امتزج بعضه ببعض ولان وأمكن تطريقه وتشكيله فإذا برد تصلب.

(٤) قدر الشيء جعله على قدر معيّن والسرد هو تركيب حلقها ومساميرها بصورة متناسبة بحيث لايعظم المسمار فيغلق الحلقة، ولا يرق فلا تمسكه.

(٥) لمّا عدد عليه نعمه أمره بشكره وهوالعمل الصالح الشامل للحمد والشكر والطاعة والصبر.

وقوله تعالى ﴿ومن الجن﴾ أي وسخرنا من الجن من يعمل بين يديه أي أمامه وتحت رقابته يعمل له ما يريد عمله من أمور الدنيا. وذلك بإذن ربّه تعالى القادر على تسخير ما يشاء لمن يشاء. وقوله ﴿ومن يزغ منهم﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿عن أمرنا﴾ أي عما أمرناهم بعمله وكلفناهم به ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ وذلك يوم القيامة.[1] وقوله ﴿يعملون له ما يشاء﴾ بيان لما في قوله ﴿من يعمل بين يديه﴾ من محاريب قصور أو بيوت تكون ملاصقة للمسجد للتعبد فيها، وتماثيل أي صور من نحاس أو خشب إذ لم تكن محرمة في شريعتهم وجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة تتسع لعشرة من الأكلة، كالجواب أي في الكبر والجابية[2] حوض يفرغ فيه ماء البئر ثم يسقى به الزرع أو قدور راسيات أي ويعملون له قدوراً ضخمة لا تتحول بل تبقى دائماً موضوعة على الأثافي ويطبخ فيها وهي في مكانها وذلك لكبرها ومعنى راسيات ثابتات على الأثافي.

وقوله تعالى ﴿اعملوا﴾ أي قلنا لهم اعملوا آل داود شكراً أي اعملوا الصالحات شكراً لله تعالى على هذا الإفضال والإنعام أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا ربكم في أمره ونهيه يكن ذلك منكم شكراً لله على نعمه. روى أنه لما أمروا بهذا الأمر قال داود عليه السلام لِآلِهِ أيكم يكفيني النهار فإنى أكفيكم الليل فصلوا لله شكراً فما شئت أن ترى في مسجدهم راكعاً أو ساجداً في أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيت. ويكفى شاهداً أن سليمان مات وهو قائم يصلى في المحراب. وقوله تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ هذا إخبار بواقع وصدق الله العظيم الشاكرون لله على نعمه قليل وفي كل زمان ومكان وذلك لإستيلاء الغفلة على القلوب من جهة ولجهل الناس بربهم وإنعامه من جهة أخرى.

وقوله تعالى في الآية (١٤) ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أي توفيناه: ما دلهم على موته الا دابة في الأرض أي الأرضة المعروفة تأكل منسأته فلما أكلتها خر على الأرض، وذلك أنه سأل ربّه أن يعمى خبر موته عن الجن، حتي يعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب كما هم يدعون، فمات وهو متكىء على عصاه يصلى في محرابه، والجن يعملون لا يدرون بموته فلما مضت مدة من الزمن وأكلت الأرضة المنسأة وخر سليمان على الأرض علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان ولما أقاموا مدة طويلة في الخدمة والعمل الشاق وهم لا يدرون. هذا معنى

(١) وجائز أن يكون هناك ملك بيده سوط من نار أو شهاب يضرب به الشيطان إن عصىَ سليمان كما روى عن السلف.
(٢) قال الشاعر:

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

أي لامتلائها.

قوله تعالى ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن[1] ان لو كانوا يعلمون الغيب﴾ ـ كما كان يدعى بعضهم ـ ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي الذي كان سليمان يصبه عليهم لعصيانهم وتمردهم على الطاعة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود وسليمان من الآيات.

٢ـ فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله.

٣ـ مركبة سليمان سبقت صنع الطائرات الحالية بآلاف السنين.

٤ـ شرع من قبلنا شرعٌ لنا إلا ما خصّه الدليل كتحريم الصور[2] والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم.

٥ـ وجوب الشكر على النعم، وأهم ما يكون به الشكر الصلاة والإكثار منها.

٦ـ تقرير أن علم الغيب لله وحده.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾

---

(١) الآية صريحة في أن من الجن من كان يدعي علم الغيب يضلل اخوانه من الجن والإنس به، وإذ تبين للجن إن دعوى علم الغيب ممن ادعاها باطلة علم كذلك الإنس ان الجن ما كانوا يعلمون الغيب إذ لو كانوا يعلمونه لعلموا بموت سليمان حين مات وتركوا العمل وفروا بعيدين.

(٢) لعن رسول الله ﷺ المصورين ولم يستثن فقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم. وفي البخاري أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون. وحديث الموطأ. إلا ما كان رقماً في ثوب فهو وإن خص جميع الصور فإن حديث عائشة رضي الله عنها دل على كراهيته إذ قال لها أخرجيه عني فهتكته والرخصة في لعب البنات لما في الصحيح على شرط أن لا تكون كأشباه التماثيل.

فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

لقد كان لسبأ في مسكنهم	: أي لقد كان لقبيلة سبأ اليمانية في مسكنهم.
آيـــة	: أي علامة على قدرة الله وهى جنتان عن يمين وشمال.
بلدة طيبة ورب غفور	: أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها، والله رب غفور.
فأعرضـــوا	: أي عن شكر الله وعبادته.
سيل العـرم	: أي سد السيل العرم.
ذواتى أُكل خمط وأثل	: أي صاحبتي أُكل مُرّ بشعٍ وشجر الأثل.
ذلـــك	: أي التبديل جزيناهم بكفرهم.
القرى التي باركنا فيها	: هي قرى الشام مبارك فيها.
قرىً ظـاهرة	: أي متواصلة من اليمن إلى الشام.
وقدرنا فيها السير	: أي المسافات بينها مقدرة بحيث يقيلون في قرية ويبيتون في اخرى.
فجعلناهم أحاديث	: أي لمن جاء بعـدهم أي أهلكناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولا بين الناس.
ومزقناهم كل ممزق	: أي فرقناهم في البلاد كل التفرق.
إن في ذلك لآيات	: أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبراً.
لكل صبار شكور	: أي صبار على الطاعات وعن المعاصى شكور على النعم.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنعامه على آل داود وشكرهم له وأخبر أنه قليل من عباده من يشكر إنعامه عليه ذكر أولاد سبأ وأنه أنعم عليهم بنعم عظيمة وأنهم ما شكروها فأنزل بهم نقمته وسلبهم نعمته

وذلك جزاء لكل كفور. فقال تعالى ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم[1] آية جنتان عن يمين وشمال﴾ أي لقد كان لأولاد سبأ وهم الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، ومن أنمار جنعم وبجيلة ومن أولاد سبأ اربعة سكنوا في الشام وهم لخم وجدام وغسان، وعاملة وأبوهم سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقوله تعالى ﴿في مسكنهم﴾ أي في مساكنهم ﴿آية﴾ أي علامة على قدرة الله وإفضاله على[2] عباده وهي جنتان عن يمين وشمال الوادى أي جنتان عن يمين الوادى وأخرى عن شماله كلها فواكه وخضر، تسقى بماء سد مأرب. كلوا من رزق ربكم أي قلنا لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له أي هذا الإنعام بالإيمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله. وقوله ﴿بلدة طيبة﴾ أي هذه بلدة طيبة وهي صنعاء اليمن مناخها طيب وتربتها طيبة لا يوجد بها وبـاء ولا هوام ولا حشرات كالعقارب ونحوها، ﴿ورب غفور[3]﴾ يغفر ذنوبكم متى أذنبتم وتبتم واستغفرتم. ولكن أَبْطَرَتْهُم هذه النعم فكفروها ولم يشكروا كما قال تعالى ﴿فأعرضوا﴾ بأن كذبوا رسل الله إليهم وعصوا الله ورسله فانتقم الله منهم لإعراضهم وعدم شكرهم كما هى سنته في عباده. قال تعالى ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك بأن خرب السد، وذهبت المياه وماتت الأشجار وأَمْحَلَتْ الأرض، وتبدلت قال تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أُكل خمط﴾ أي مُر بشع وهو شجر الأراك وأثل وهو الطرفاء، وشيء من سدر قليل. هذا جزاء من أعرض عن ذكـر الله وفسق عن أمره وخرج عن طاعته. قال تعالى ﴿ذلك﴾ أي الجزاء ﴿جزيناهم بما كفروا﴾ بسبب كفرهم وقوله: ﴿وهل نجازى الا الكفور[4]﴾ أي وهل نجازى بمثل هذا الجزاء وهو تحويل النعمة الي نقمة غير الكفور.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم[5] وبين القرى التي باركنا فيها﴾ وهي مدن الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي مدناً ظاهرة على المرتفعات من الأرض، وذلك من صنعاء عاصمتهم إلى الشام قرابة أربعة آلاف وسبعمائة قرية أي مدينة، وقوله ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي يجعل المسافات بين كل مدينة ومدينة متقاربة بحيث يخرج المسافر بلا زاد من ماء أو طعام فلا يقيل الا في مدينة ويخرج بعد

---

(١) قرأ نافع مساكنهم بالجمع وقرأ حفص بالإفراد مسكنهم وجمعه مساكن.

(٢) إذ لو اجتمعت البشرية كلها على اخراج شجرة من خشبة يابسة لما استطاعت فكيف بأنواع النوار وألوانه واختلاف طعومه وروائحه وأزهاره.

(٣) في الآية اشارة إلى أن الذنب ملازم للإنسان لا يعصم منه إلا من اراد الله عصمته كأنبيائه، ولذا أعلمهم أن المنعم بهذه النعم رب غفور يغفر ذنب عباده إذا تابوا إليه فدعاهم بهذا الى التوبة وان الذنب مع التوبة لا يسبب الهلاك العام أو سلب النعم ما دام هناك توبة تعقب الذنب.

(٤) قرأ حفص وهل نُجازي بنون العظمة والبناء للفاعل والكفور مفعول به منصوب وقرأ نافع والجمهور وهل يجازى بياء الغيبة مضمومة والفعل مبني للمفعول والكفور نائب فاعل والمعنى ما يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور أي الشديد الكفر عظيمه.

(٥) هذه الآية والتي بعدها ذكرتا تتميماً للقصة.

القيلولة فلا ينام الا في مدينة أخرى حتى يصل الى الشام أو إلى المدينة التي يريد. وهذا كان لهم قبل هدم السد وتفرقهم وقوله تعالى: ﴿سيروا فيها ليالي وأياما آمنين﴾ أي وقلنا لهم سيروا بين تلك المدن الليالي والأيام ذوات العدد آمنين من كل ما يخاف. وما كان منهم الا أنهم بطروا النعمة وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم. أي حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يباعد بين[1] مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويذوقوا طعم التعب وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا رواحل.[2] قال تعالى ﴿وظلموا أنفسهم﴾ إذ بإعراضهم وحسدهم وبطرهم النعمة كانوا قد ظلموا أنفسهم فعُرِّضوا لِعذاب الحرمان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وقوله تعالى ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أي لمن بعدهم يروون أخبارهم ويقصون قصصهم بعد أن هلكوا وبادوا. وقوله تعالى ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي فرقناهم في البلاد كل تفريق بحيث لا يرجى لهم عودُ اتصال أبداً فذهب الأوس والخزرج الى يثرب «المدينة النبوية» وهم الأنصار، وذهب غسان الى[3] الشام، والازد الى عُمان، وخزاعة الى تهامة واصبحوا مضرب المثل يقال: ذهبوا شذر مذر. وتفرقوا أيادي سبأ، أي مذاهب سبأ وطرقها. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي إن في إنعام الله على ابناء سبأ ثم في نقمته عليهم لما بطروا النعمة وكفروا الطاعة لعبراً يعتبر بها كل صبور على الطاعات فِعلاً وعن المعاصي تركاً، ﴿شكور﴾ أي كثير الشكر على النعم. اللهم اجعلنا لك من الشاكرين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من الإعراض عن دين الله فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم. وكم هذه الحال مشاهدة هنا وهناك لا بين الأمم والشعوب فحسب بل حتى بين الأفراد.

٢ـ التحذير من كفر النعم بالاسراف فيها وصرفها في غير مرضاة الله واهبها عز وجل.

٣ـ خطر الحسد وانه داء لا دواء له، والعياذ بالله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

٤ـ فضيلة الصبر والشكر وعلو شأن الصبور الشكور.

---

(١) قوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قرأ الجمهور باعد فعل أمر من باعد يباعد وقرأ بعض بعِّد فعل امرٍ من بعد يبعد على وزن جنّد، وقرأ بعض آخر باعد فعلاً ماضياً.

(٢) قيل ان المسافة التي يقطعونها بين تلك المدن آمنين من الجوع والخوف مسيرة أربعة أشهر ذهاباً وإياباً وحالهم كحال بني اسرائيل كما قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض حيث ملوا أكل اللحم والعسل.

(٣) قال الشعبي فلحقت الأوس والخزرج (الأنصار) بيثرب (المدينة) وغسان وجذام ولخم بالشام والأزد بعمان وخزاعة بتهامة. فكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول. تفرقوا ايدي سبأ، وايادي سبأ أي مذاهب سبأ وطرقها.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه: أي صدَقَ ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم.

فاتبعوه : في الكفر والضلال والإضلال.

الا فريقا منهم : أي من بني آدم وهم المؤمنون المسلمون فإنهم لم يتبعوه وخاب ظنه فيهم زاده الله خيبة إلى يوم القيامة.

وما كان له عليهم من سلطان : أي ولم يكن لإبليس من تسليط منا عليهم لا بعصا ولا سيف وإنما هو التزيين والإغراء بالشهوات.

إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك : أي لكن أذنًا له في إغوائهم - إن استطاع - بالتزيين والإغراء لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحاً ممن يكفر ويعمل سوءاً.

وربك على كل شيء حفيظ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ وسيجزى الناس بما كسبوا.

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته.

لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض : أي ملكاً استقلالياً لا يشاركهم الله فيه.

وما لهم فيها من شرك : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض.

وماله منهم من ظهير : أي وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين على شيء.

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له : أي ولا تنفع الشفاعة أحداً عنده حتى يأذن هو له بها.

حتى إذا فزع عن قلوبهم : أي ذهب الفزع والخوف عنهم بسماع كلم الرب تعالى.

قالوا: ماذا قال ربكم؟ : أي قال بعضهم لبعض استبشاراً ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق أي في الشفاعة.

وهو العليُّ الكبير : العلي فوق كل شيء علوَّ ذات وقهر وهو الكبير المتعالي الذي كل شيء دونه.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى ما حدث لسبأ من تقلبات وكان عامل ذلك هو تزيين الشيطان وإغواؤه أخبر تعالى عن حال الناس كل الناس فقال﴿لقد صدق عليهم[1] إبليس ظنّه﴾ أي فيهم لما علم ضعفهم أمام الشهوات فاستعمل تزيينها كسلاح لحربهم ﴿فاتبعوه﴾ فيما دعاهم إليه من الشرك والإسراف والمعاصي ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ وهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم الذين أسلموا لله وجوههم وهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سبيل لإغوائهم فإنهم لم يتبعوه. هذا ما دلت عليه الآية (٢٠) وقوله تعالى: ﴿وما كان له﴾ أي للشيطان ﴿عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ أي قوة مادية ولا معنوية من حجج وبراهين، وإنما أذن له في التحريش والوسواس والتزيين وهذا الإذن لعلة وهي ظهور حال الناس ليعلم[2] من يؤمن بالآخرة وما فيها من جنات ونيران، وقد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات فالمؤمنون بالآخرة يتحملون مشاق التكاليف فينهضون بها ويتجنبون الشهوات فينجون من النار ويدخلون الجنة، والذين لا يؤمنون بالآخرة لا ينهضون بواجب ولا يتجنبون حراماً فيخسرون أنفسهم

---

(١) قرأ نافع والجمهور صدق بتخفيف الدال وقرأ حفص صدّق بالتضعيف والجملة يبدو انها معطوفة على قوله تعالى: وقال الذين كفروا هل ندلكم وهو قول كفار مكة وما بين هذه الآيات وتلك اعتراض للعظة والاعتبار والمقصود من هذه الآية تنبيه المؤمنين إلى مكايد الشيطان وسوء عاقبة من يتبعه حتى يلعنوه ولا يتبعوه. قال الحسن لما اهبط آدم وحواء عليهما السلام من الجنة إلى الأرض وهبط إبليس قال ابليس اما إذا اصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف فكان ذلك ظناً من ابليس فأنزل الله تعالى لقد صدق عليهم إبليس ظنه.

(٢) أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب فأما علم الغيب فقد علمه تبارك وتعالى، فقوله تعالى، (إلا لنعلم) الخ... جواب لقوله وما كان له عليهم من سلطان.

وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين. وقوله تعالى ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ فهو يحصى أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها ويجزيهم بها.

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا[1] الذين زعمتم من دون الله﴾ أي قل يا رسولنا بعد هذا العرض والبيان الشافي الذي تقدم في هذا السياق للمشركين من قومك ما دمتم مصرين على الشرك بحجة أن شركاءكم ينفعُون ويضرون وأنهم يشفعون لكم يوم تبعثون ادعوهم غير أن الحقيقة التي يجب أن تسمعوها وتعلموها - وأنتم بعد ذلك وما ترون وتهوون - هي أن الذين تدعونهم من دون الله وجعلتموهم لله شركاء لا يملكون مثقال ذرة أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض لا يملكونها استقلالا ولا يملكونها شركة مع الله المالك الحق، وهو معنى قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ ﴿وما لهم فيهما﴾ أي في السموات والأرض من شرك بمعنى شركة ولو بأدْنى نسبة. وشيء آخر وهو أن شركاءكم الذين تدعونهم ليس لله تعالى منهم من ظهير أي معين حتى لا يقال بحكم حاجة الرب إليه ندعوه فيشفع لنا عنده، وشيء آخر وهو أن الشفاعة عند الله لا تتم لأحد ولا تحصل له إلا إذا رضى الله تعالى بالشفاعة لمن أريد الشفاعة له، وبعد أن يأذن ايضا لمن أراد أن يشفع. فلم يبق إذاً أي طمع في شفاعة آلهتكم لكم لا في الدنيا ولا في الآخرة إذاً فكيف تصح عبادتهم وهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشفعون لأحد في الدنيا ولا الآخرة. وقوله تعالى ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ إلى آخره بيان لكيفية الشفاعة يوم القيامة وهي أن الشافع المأذون له في الشفاعة عندما يسأل الله تعالى فيجيبه الرب تعالى فيصاب بخوف وفزع شديد ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ أي زال ذلك الفزع والخوف قالوا لبعضهم[2] البعض ماذا قال ربكم؟ فيقولون مستبشرين قالوا: الحق أي أذن لنا في الشفاعة وهو العليّ الكبير أي العلى فوق خلقه بذاته وقهره وسلطانه الكبير الذي ليس كمثله شيءٌ سبحانه لا إله إلا هو ولا ربّ سواه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- بيان أن إبليس صدق ظنه في بني آدم وأنهم سيتبعونه ويغويهم.

---

(١) هذا الأمر للتحدي والتوبيخ وهو خطاب للمشركين المؤلهين الأصنام بعد ما ساق من دلائل التوحيد فيما عرفوا من حياة داود وسليمان وأهل سبأ أمر رسوله أن يتحداهم ويوبخهم على شركهم وباطلهم.

(٢) الظاهر أن من طلبوا الشفاعة لما أذن الله تعالى لهم وأصابهم الفزع والخوف فلما ذهب ذلك من قلوبهم سألوا الملائكة عما قال الله تعالى فتجيبهم الملائكة قال الحق أي قبل شفاعتكم.

٢ـ تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه.

٣ـ بيان بطلان دعاء غير الله إذ المدعو كائنا من كان لا يملك مثقال ذرة في الكون لا بالاستقلال ولا بالشركة، وليس لله تعالى من ظهير أي ولا معينين يمكن التوسل بهم، وأخيراً والشفاعة لا تتم إلا بإذنه ولمن رضى له بها. ولذلك بطل دعاء غير الله ومن دعا غير الله من ملك أو نبي أو وليّ أو غيرهم فقد ضل الطريق وأشرك بالله في أعظم عبادة وهى الدعاء، والعياذ بالله تعالى.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

قل من يرزقكم من السموات والأرض: من السموات بإنزال المطر ومن الأرض بإنبات الزروع.

قل الله : أي إن لم يجيبوا فأجب انت فقل الله، إذ لا جواب عندهم سواه.

وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين : وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا لعلى هدى أو في ضلال مبين، وقطعا فالموحدون هم الذين على هدى

والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تلطفاً بهم لعلهم يفكرون فيهتدون.

قل لا تسألون عما أجرمنا : أي أنكم لا تسألون عن ذنوبنا.

ولا نُسأل عما تعملون : أي ولا نُسأل نحن عما تعملون. وهذاتلطفأبهم أيضاً ليراجعوا أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد.

قل يجمع بيننا ربُّنا ثم يفتح بيننا بالحق : أي قل لهم سيجمع بيننا ربُّنا يوم القيامة ويفصل بيننا بالحق وهذا أيضا تلطف بهم وهو الحق.

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع الله فإن أروه إياهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر قامت الحجة عليهم. وقال لهم اتعبدون ما تنحتون وتتركون الله الذي خلقكم وما تعملون؟!

كلا بل هو الله العزيز الحكيم: كلا: لن تكون الأصنام أهلا للعبادة بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله العزيز الحكيم.

كافة للناس : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.

بشيراً ونذيراً : بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بعذاب النار

قل لكم ميعاد يوم : هو يوم القيامة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تبكيت المشركين وإقامة الحجج عليهم بتقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال تعالى للرسول ﷺ سل قومك مبكتا لهم: ﴿قل من[1] يرزقكم من السموات والأرض﴾ بإنزال الأمطار وإرسال الرياح لواقح وإنبات النباتات والزروع والثمار وتوفير الحيوان للحم واللبن ومشتقاته؟ وإن تلعثموا في الجواب أو ترددوا خوف الهزيمة العقلية فأجب أنت قائلاً الله. إذ ليس من جواب عندهم سواه.

وقوله ﴿وإنا أو إياكم لعلى[2] هدىً أو في ضلال مبين﴾ هذا أسلوب التشكيك وحكمته التلطف

---

(١) لما أبطل بتلك الحجج آلهة المشركين حيث دعاؤها لا يجدي نفعاً للداعين لأنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا شفاعتها تنفع عابديها قرّر بهذه الآيات استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره، واستعمل اسلوب الجدل لإقامة الحجة على الخصم فقال: قل من يرزقكم.

(٢) وإياكم معطوف على محل اسم إن المنصوب والجملة معطوفة على الاستفهام «قل من يرزقكم الخ» وهذا يقال له اسلوب المنصف وهو أن لا يذكر المجادل لمن يجادله ما يغيظه أو يثير حفيظته رجاء هدايته إلى الحق.

بالخصم المعـاند حتى لا يلج في العناد ولا يفكر فى الأمر الذي يجادل فيه، وإلاّ فالرسول والمؤمنون هم الذين على هدىً، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم لدى طرفي النزاع. وقوله تعالى ﴿قل لا تُسألون عمّا[1] أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ وهذا أيضاً من باب التلطف مع الخصم المعاند لتهدأ عاصفة عناده ويراجع نفسه عله يثوب إلى رشده ويعود إلى صوابـه. فقـوله: ﴿لا تُسألون عما أجرمنا﴾ هو حق فإنهم لا يسألون عن ذنوب الرسول والمؤمنين، ولكن الرسول والمؤمنين لا ذنب لهم وإنما هو من باب التلطف في الخطاب، وأما المشركون فإن لهم أعمالاً من الشرك والباطل سيجزون بها والرسول والمؤمنون قطعاً لا يُسألون عنها ولا يؤاخذون بها ما داموا قد بلغوا ونصحوا. وقوله: ﴿قل يجمع بيننا ربُّنا﴾ أي يوم القيامة ﴿ثم يفتح بيننا﴾ أي يحكم ويفصل بيننا ﴿بالحق وهو الفتاح﴾ أي الحاكم العليم بأحوال خلقه فأحكامه ستكون عادلة لعلمه بما يحكم فيه ظاهراً وباطناً. وفي هذا جذب لهم بلطف ودون عنف ليقروا بالبعث الآخر الذي ينكرونه بشدة. وقوله ﴿قل أروني[2] الذين ألحقتم به شركاء﴾ أي قل يا رسـولنـا لهؤلاء المشـركين اورنى آلهتكم التي اشركتموها بالله والحقتموها به وقلتم في تلبيتكم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك. الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وهكذا يتحداهم رسول الله بإذن الله أن يروه شركاء لله حقيقة يسمعون ويبصرون ينفعون ويضرون ولما كان من غير الممكن الإتيان بهم غير أصنام وتماثيل زجرهم بعنف لعلهم يستفيقون من غفلتهم فقال: ﴿كلا، بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أي ليست تلك الأصنام بآلهة تعبد مع الله بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره ومراده الحكيم في تدبير خلقه وشؤون عباده.

وقوله: ﴿وما أرسلناك[3] الا كافة للناس[4] بشيراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك يا رسولنا لمهمة غير البشارة والنذارة فلذا لا يحزنك إعراضهم وعدم استجابتهم فبشر من آمن بك واتبعك فيما جئت به، وأنذر من كفر بك ولم يتابعك على الهدى الذي تدعو اليه.

---

(١) وهذا أيضـاً من الباب الأول وهو حمل الخصم على عدم اللجاج في الخصومة ليبقى قادراً على الفهم وقبول الحق متى ظهر له ولاح.

(٢) الأمر هنا للتعجيز لإقامة الحجة عند ثبوت عجز المخاصم، ولما ثبت عجزهم زجرهم بكلمة كلا وردعهم بها، وحملهم على الاعتراف ببطلان آلهتهم.

(٣) ولما تقرر مبدأ التوحيد عطف عليه تقرير النبوة المحمدية فقال وما أرسلناك. وبذلك ثبتت رسالته.

(٤) في الكلام تقديم وتأخير إذ الأصل وما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1] فيه تعزية للرسول أيضاً إذِ الواقع أن أكثر الناس لا يعلمون إذ لو علموا لما ترددوا في عبادة الله وتوحيده والتقرب إليه طمعا فيما عنده وخوفاً مما لديه. وقوله: ﴿ويقولون﴾ أي أهل مكة من منكري البعث والجزاء ﴿متى هذا الوعد﴾[2] أي العذاب الذي تهددنا به وتخوفنا بنزوله بنا إن كنتم أيها المؤمنون صادقين فيما تقولون لنا وتعدونا به. وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد على استهزائهم وتكذيبهم بقوله: ﴿قل لكم ميعاد﴾[3] يوم معين عندنا محدد لا تستأخرون عنه ساعة لو طلبتم ذلك لتتوبوا وتستغفروا ولا تستقدمون أخرى لو طلبتم تعجيله إذ الأمر مبرم مُحكمٌ لا يقبل النقص ولا الزيادة ولا التبديل ولا التغيير.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ مشروعية التلطف مع الخصم فسحاً له في مجال التفكير لعله يثوب الى رشده.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وتنويع الأسلوب الدعوى في ذلك.

٣ـ تقرير عقيدة النبوة المحمدية، وعموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة.

٤ـ يوم القيامة مقرر الساعة واليوم فلا يصح تقديمه ولا تأخيره بحال.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتى اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماءه وصفاته وما عنده وما لديه، ولامحاباة ولا مكارهه.

(٢) الاستفهام للاستبعاد مشوباً بالتعجب من كثرة سؤالهم عن هذا الوعد.

(٣) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته بيانية.

﴿اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾

شرح الكلمات :

ولا بالذي بين يديه : أي من الكتب السابقة وهي التوراة والإنجيل.

يرجع بعضهم إلى بعض القول: أي يقول الاتباع كذا ويرد عليهم المتبوعون بكذا وهو المبيّن في الآيات.

أنحن صددناكم عن الهدى : أي ينكر المتسكبرون وهم المتبوعون أن يكونوا صدوا التابعين لهم عن الهدى بعد إذْ جاءهم بواسطة رسوله.

بل كنتم مجرمين : أي ظلمة فاسدين مفسدين.

بل مكر الليل والنهار : أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي جعلنا نكفر بالله

ونجعل له أنداداً : أي شركاء نعبدهم معه فننادُه بهم.

وأسروا الندامة : أي اخفوها إذ لا فائدة منها أو أظهروها أي أظهروا الندم إذ أسر الندامة له معنيان أخفى وأظهر.

وجعلنا الاغلال في أعناق : أي وجعلنا الأغلال جمع غل حديدة تجعل في عنق المجرم.

هل يجزون الا ما كانوا يعملون : أي ما يجزون الا ما كانوا يعملون.

معنى الآيات .

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء فيخبر تعالى فيقول: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي من مشركي مكة قالوا للرسول والمؤمنين لن نؤمن[1] بهذا القرآن الذي أنزل على محمد، ولا بالذي أنزل على من تقدمه من الأنبياء كالتوراة والإنجيل، وذلك لما احُتّج عليهم

(١) القائل هذا هو أبو جهل بن هشام وذلك أن المشركين سألوا أهل الكتاب من اليهود فلما أعلموهم بما يوافق ما يقول الرسول ويدعو إليه من التوحيد والبعث والجزاء والرسالة قالوا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي من التوراة والانجيل.

بتقرير التوراة والإنجيل للتوحيد والنُبوات والبعث والجزاء قالوا لن نُؤمن بالجميع عناداً ومكابرة . وجحوداً وظلما . ولازم هذا أنهم ظلمة معاندون ومن باب دعوتهم إلى الهدى ستعرض الآيات لهم حالهم يوم القيامة فيقول تعالى لرسوله وهم يسمعون ﴿ولو ترى﴾[1] يا رسولنا ﴿إذ الظالمونَ موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ أي يتحاورون متلاومين . يقول الذين استُضعفوا وهم الفقراء المرءوسون الذين كانوا أتباعاً لكبرائهم وأغنيائهم ، يقولون للذين استكبروا عليهم في الدنيا : لولا أنتم أي صرفتمونا عن الإيمان واتباع الرسول لكنا مؤمنين فيرد عليهم الكبراء بما أخبر تعالى عنهم في قوله : ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن[2] صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي ماصددناكم أبداً بل كنتم مجرمين أي أصحاب إجرام وفساد ويرد عليهم المستضعفون قائلين بما أخبر تعالى به عنهم ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر[3] الليل[4] والنهار﴾ أي بل مكركم[5] بنا في الليل والنهار إذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً . قال تعالى ﴿وأسروا الندامة[6]﴾ أي أخفوها لما رأوا العذاب . قال تعالى : ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي شدت أيديهم إلى أعناقهم بالاغلال وهي جمع غل حديدة يشد بها المجرم ، ثم أدخلوا الجحيم إذ كانوا في موقف خارج جهنم ، وقوله تعالى : ﴿هل يجزون[7] الا ما كانوا يعملون﴾ أي ما يُجْـزَونَ إلا ما كانوا يعملون فالجزاء بحسب العمل إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، وكانت أعمالهم كلها شرّاً وظلماً وباطلاً .

هذا وجواب لولا في أول السياق محذوف يُقدر بمثل : لرأيت أمراً فظيعاً واكتُفي بالعرض لموقفهم عن ذكره فإنه أتم وأشمل .

---

(١) جواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً هائلاً مدهشاً ومحيراً .

(٢) الاستفهام إنكاري . انكروا عليهم قولهم انهم صدوا عن الإيمان .

(٣) المكر في اللغة الاحتيال والخديعة يقال مكر به يمكر فهو ماكر ومكار .

(٤) مكر الليل والنهار الاضافة بمعنى في .

(٥) مكرٌ مبتدأ والخبر محذوف تقديره صدّنا وهو جملة فعلية .

(٦) الضمير في أسروا عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين والمعنى انهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيء لهم وذلك عقب المحاورة التي دارت بينهم ، فعلموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم اسروا الندامة أي أخفوها لعدم جدواها .

(٧) الاستفهام إنكاري بقرينة الاستثناء بعده أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون أي من الشرك والظلم والشر والفساد إذ الجزاء من جنس العمل هو العدل المطلوب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تشابه حال الظلمة والمجرمين فالعرب المشركون كانوا يركنون إلى أهل الكتاب يحتجون بما عندهم على الرسول والمؤمنين. ولما وجدوا التوراة والإنجيل يقرّران عقيدة البعث والجزاء والنبوة تبرأوا منهما وقالوا لن نؤمن بالقرآن ولا بالتوراة والإنجيل.

واليهود كانوا يحتجون بالتوراة على المسلمين ولما وجدوا التوراة تقرر ما يقرره القرآن تركوا الاحتجاج بالتوراة وأخذوا يحتجون بالسحر كما تقدم في البقرة في قول الله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان﴾.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض كامل لموقف من مواقف يوم القيامة، ومشهد من مشاهده.

٣- بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشراف الناس اذا كان غير موافق لشرع الله تعالى وما جاء به رسله من الحق والدين الصحيح.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

الا قال مترفوها	: أي رؤساؤها المنعمون فيها من اهل المال والجاه.
نحن أكثر أموالاً وأولاداً	: أي من المؤمنين.
يبسط الرزق لمن يشاء	: امتحاناً أيشكر العبد أم يكفر.
ويقدر	: أي يضيق ابتلاء أيصبر المرء أم يسخط.
ولكن أكثر الناس لا يعلمون	: أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض.
تقربكم عندنا زلفي	: أي قربى بمعنى تقريباً.
إلا من آمن وعمل صالحا	: أي لكن من آمن وعمل صالحاً هو الذي تقربه تقريباً.
وهم في الغرفات آمنون	: أي من المرض والموت وكل مكروه.
والذين سعوا في آياتنا	: أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمه.
معاجزين	: أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوقوننا فلم نعاقبهم.
وما أنفقتم من شيء	: أي من مال في الخير.
وهو خير الرازقين	: أي المعطين الرزق. أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ هذا شروع في تسلية الرسول ﷺ ببيان حال من سبق من الأمم وما واجهت به رسلها فقال تعالى ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ أي مدينة من المدن ﴿من نذير إلا قال مترفوها﴾[1] أي أهل المال والثروة المتنعمون بألوان المطاعم والمشارب والملابس والمراكب. قالوا لرسل الله ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ فردوا بذلك دعوتهم. ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ فاعتزوا بقوتهم، ﴿وما نحن بمعذبين﴾ كذبوا بالبعث والجزاء كما أن كلامهم مُشعر بأنهم مغترون بأن ما أعطاهم الله من مال وولد كان لرضاه عنهم وعدم سخطه عليهم. وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يبسط[2] الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي قل يا نبينا لأولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم إن ربي جل جلاله يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له لا لرضى عنه ولا لبغض له، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء له لا لبغضه ولا لمحبته، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[3] ومن بينهم مشركو قريش لا يعلمون أن بسط الرزق

---

(١) المترفون الذين أعطاهم الله الترف وهو التنعيم وسعة العيش في الدنيا وفي بناء المترفون للمجهول تعريض وتذكير لهم بالمنعم تعالى علهم يذكرون فيشكرون.

(٢) بسط الرزق تيسيره وتكثيره مأخوذ من بسط الثوب وهو نشره ليتسع لصاحبه وتقدير الرزق معناه إعطاؤه مقدّراً، ويقابله ما يعطى بغير حساب.

(٣) مفعول لا يعلمون محذوف وقد ذكر في التفسير وهو أنهم لا يعلمون الحكمة في بسط الرزق وتضييقه.

كتضييقه عائد إلى تربية الناس بالسراء والضراء امتحاناً وابتلاء. وقوله تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ يخبر تعالى المشركين المغترين بالمال والولد يقول لهم وما أموالكم ولا أولادكم بالحال التى تقربكم منا وتجعلنا نرضى عنكم وندنيكم منا زلفى أي قربى. ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ أي لكن من فعلوا الواجبات والمندوبات ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون لهم جزاء الضعف[1]، أي جزاء تضاعف لهم حسناتهم فيه، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، وذلك بسبب عملهم الصالحات ﴿وهم في الغرفات﴾ أي غرفات الجنة آمنون من الموت ومن كل مكروه ومنغص لسعادتهم.

وقوله تعالى: ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يخبر تعالى أن الذين يعملون بجد وحرص في إبطال آياتنا وإطفاء نور هدايتنا في كتابنا وقلوب عبادنا المؤمنين ويظنون أنهم معجزون لنا أي فائتوننا لا ندركهم ولا نعاقبهم هؤلاء المغرورون في العذاب محضرون أي كأنك بهم وهم محضرون في جهنم يعذبون فيها أبداً.

فقوله تعالى: ﴿قل إن ربي﴾ أي قل يا رسولنا مرة أخرى تقريراً لهذه الحقيقة العلمية التي خفيت على الناس وجهلها قومك وهي أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحاناً لا حباً فيه ولا بغضاً له. وإنما امتحاناً له هل يشكر أو يكفر فإن شكر زدناه وأكرمناه وان كفر سلبناه ما أعطيناه وعذبناه، ﴿ويقدر له﴾ أي لمن شاء من عباده ابتلاء له لا بغضا له ولا حبا فيه. وإنما لننظر هل يصبر على الابتلاء أو يسخط ويضجر فنزيد في بلائه وشقائه.. وقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من[2] شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ في هذا دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وتشجيع عليه بإعلام الناس أن الإنفاق لا ينقص المال والبخل به لا يزيده فان التوسعة كالتضييق لحكمة فلا البخل يزيد في المال ولا الإنفاق في سبيل الله ينقص منه. وختم هذا بوعده الصادق وهو أن من انفق في سبيل الله شيئاً أخلفه الله عليه وهو تعالى خير من قيل إنه يرزق ووصف به.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما أتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء.

٢ـ بيان اغترار المترفين بما آتاهم الله من مال وولد ظانين ان ذلك من رضا الله تعالى عليهم.

---

(١) الضعف بمعنى المضاعف المكرر مرة وأكثر حتى يبلغ اضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وهي سنة الانفاق في الجهاد.

(٢) من في قوله «من شيء» بيانية وجملة فهو يخلفه جواب الشرط وجملة وهو خير الرازقين تذييل للكلام يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وفي الحديث الصحيح يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك، وما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفا «في الصحيح».

٣ـ بيان الحكمة في التوسعة على بعض والتضييق على بعض، وانها الامتحان والابتلاء فلا تدل على حبِّ الله ولا على بغضه للعبد.

٤ـ بيان ما يقرب الى الله ويدنى منه وهو الإيمان والعمل الصالح ومن ذلك الإنفاق في سبيل الله لا كثرة المال والولد كما يظن المغرورون المفتنون بالمال والولد.

٥ـ بيان حكم الله فيمن يحارب الإسلام ويريد إبطاله وأنهمحضر في جهنم لا محالة.

٦ـ بيان وعد الله تعالى بالخلف لكل من أنفق في سبيله مالاً.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات:

ويوم نحشرهم جميعا : أي واذكر يوم نحشرهم جميعاً أي جميع المشركين.

أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ : أي يقول تعالى هذا للملائكة تقريعاً للمشركين وتوبيخاً لهم.

قالوا سبحانك : أي قالت الملائكة سبحانك أي تقديساً لك عن الشرك وتنزيهاً.

أنت ولينا من دونهم : أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يتبرأوا منهم.

بل كانوا يعبدون الجن : أي الشياطين التى كانت تتمثل لهم فيحسبونها ملائكة فيطيعونها فتلك عبادتهم لها.

فاليوم لا يملك بعضكم لبعض : أي لا يملك المعبودون للعابدين.

نفعاً ولا ضراً : أي لا يملكون نفعهم فينفعونهم ولا ضرهم فيضرونهم.

ونقول للذين ظلموا : أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين.

عذاب النار التي كنتم بها تكذبون : أي كنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو النار.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء والتوحيد. قال تعالى لرسوله ﷺ واذكر ﴿يوم نحشرهم[1]﴾ أي المشركين ﴿جميعاً﴾ فلم نبق منهم أحداً، ثم نقول للملائكة وهم أمامهم تقريراً للمشركين وتأنيباً: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون[2]﴾ فتتبرأ الملائكة من ذلك وينزهون الله تعـالى عنه الشرك فيقولون: ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك عن الشرك وتقديساً ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أمـا هم فلا ولاية بيننـا وبينهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن[3]﴾ أي الشياطين ﴿أكثرهم بهم مؤمنـون﴾ أي مصدقون فأطاعوهم في عبادة الأصنام وعصوك وعصوا رسلك فلم يعبدوك ولم يطيعوا رسلك.

وقوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعضكم نفعاً ولا ضراً﴾ أي يقال لهم هذا القول تيئيساً وإبلاساً أي قطعـاً لرجـائهم في أن يشفعـوا لهم. وقـوله تعالى ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي كنتم تكذبون بها في الدنيا فذوقوا اليوم عذابها. والعياذ بالله من عذاب النار.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- تقرير لعقيدة البعث والجزاء بذكر بعض أحوالها.

٢- أن من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين إنما كانوا يعبدون الشياطين إذ هى التى زينت لهم الشرك. أما الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلا عن أن يأمروهم به.

٣- بيان توبيخ أهل النار بتكذيبهم في الدنيا بالآخرة وكفرهم بوجود نار يعذبون بها يوم القيامة.

---

(١) هذا الكلام متصل بما قبله وهو قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون إذ السياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض أحوال أهل النار وما يجري لهم من أمور.

(٢) هذا كقوله تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟﴾ وهو سؤال تقريع وتوبيخ لاللمسئول ولكن لعابديه من الإنس والجن.

(٣) روى أن بني مُليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم الملائكة وأنهم بنات الله، وهو قوله تعالى في سورة الصافات «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً».

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

آياتنا بيّنات : أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنى بيّنة الدلالة.

قالوا ما هذا الا رجل : أي ما محمد الا رجل من الرجال.

يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم : أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لآلهتكم التي كان يعبدها آباؤكم من قبل.

إلا إفك مفترى : أي إلا كذب مختلق مزور.

وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ.

إن هذا الا سحر مبين : أي ما هذا أي القرآن الا سحر مبين أي محمد ساحر والقرآن سحر.

من كتب يدرسونها : أي يقرأونها فأباحت لهم الشرك وأذنت لهم فيه.

وما ارسلنا إليهم قبلك من نذير :أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم الى الشرك.

وما بلغوا معشار ما آتيناهم : أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكناهم معشار ما آتينا هؤلاء من الحجج والبينات(١).

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والاهلاك والجواب كان واقعاً موقعه لم يخطئه بحال.

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مواقف المشركين المخزية والتنديد بهم والوعيد الشديد لهم. قال تعالى ﴿وإذاتتلىٰ عليهم﴾ أي مشركي قريش وكفارها ﴿آياتنا بينات﴾ أي يتلوها رسولنا واضحات الدلالة بينات المعاني فيما تدعو اليه من الحق وتندد به من الباطل. كان جوابهم أن قالوا: ما هذا إلاّ رجلٌ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم. أي ما محمد الا رجل أي ليس بملكٍ يريد أن يصدكم أي يصرفكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان والأحجار. فسبحان الله أين يذهب بعقول المشركين أما يخجلون لما يقولون عما كان يعبد آباؤكم من الأصنام والأوثان، إنه يصدهم حقاً عن عبادة الأوثان ولكن إلى عبادة الرحمن. وقالوا أيضا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿وقالوا: ما هذا إلا إفك﴾[1] أو كذب ﴿أفتراه﴾ أي اختلقه وتخرصه من نفسه أي قالوا في القرآن وما يحمل من تشريع وهدى ونور قالوا فيه إنه كذبه محمد ﷺ سبحان الله ما أشد سخف هؤلاء المشركين. وقالوا أيضا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي قالوا في الرسول وما جاءهم به من الدعوة إلى التوحيد والإصلاح ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا إلا سحر مبين، وذلك لما رأوا من تأثير الرسول والقرآن في نفوسهم إذ كان يحرك نفوسهم ويهزها هزاً.

بعد هذا العرض لمواقف المشركين قال تعالى: ﴿وما آتيناهم﴾[2] أي مشركي قريش ﴿من كتب يدرسونها﴾ أي اصروا على الشرك وما أعطيناهم من كتب يقرأونها فوجدوا فيها الإذن بالشرك أو مشروعيته فتمسكوا به، ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ أي رسول فأجاز لهم الشرك أو سنه لهم فهم على سنته، اللهم لا ذا ولا ذاك. فكيف إذاً هذا الإصرار على الشرك وهو باطل لم ينزل به كتاب ولم يبعث به رسول.[3]

وقوله تعالى: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾[4] أي من الأمم البائدة ﴿ولم يبلغوا﴾ أي ولم يبلغ

---

(١) ما هذا يعنون القرآن الكريم وكذا قولهم إن هذا إلا سحر فإنهم يعنون القرآن الكريم أيضاً وإن بمعنى ما النافية والاسناد بعدها دال عليها.

(٢) الجملة حاليّة من ضمير قالوا ما هذا.

(٣) أي انه ليس لهم ما يتثبتون به من أقل دليل وأدنى شبهه كما هي الحال عند أهل الكتاب إذ قالوا عندنا كتابنا وجاءتنا رسلنا أما المشركون فليس لهم من ذلك شيء.

(٤) في الآية تسلية للرسول ﷺ في تكذيبهم له ﷺ وتهديد لهم. التسلية في قوله «وكذب الذين من قبلهم» والتهديد في «فكذبوا رسلي فكيف كان نكير» والفاء للتفريع أي في قوله فكذبوا رسلي.

هؤلاء من القوة معشار ما كان[1] لأولئك الأقوام الهالكين، ومع ذلك أهلكناهم، فكيف كان نكيرى أي كيف كان إنكارى عليهم الشرك وتكذيب رسلى كان بإبادتهم واستئصالهم. أما يخاف هؤلاء الضعفاء أن تحل بهم عقوبتنا فنهلكهم عن آخرهم كما أهلكنا من قبلهم ولما لم يرد الله إبادتهم بعد أن استوجبوها بالتكذيب لرسوله والإصرار على الشرك والكفر قال لرسوله قل لهم ﴿إنما[2] أعظكم بواحدة﴾ أي بخصلة واحدة وهي أن تقوموا لله أي متجردين من الهوى والتعصب ﴿مثنى﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وفرادي﴾ أي واحداً واحداً، ثم تتفكروا في حياة محمد ﷺ ومواقفه الخيِّرة معكم وبعده عن كل أذى وشر وفساد فإنكم تعلمون يقيناً أنه ما بصاحبكم محمد من جنّة ولا جنون إن هـو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أي ما هو ﷺ إلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم وهو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريده لكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان عناد المشركين وسخف عقولهم وهبوطهم الفكرى.

٢ـ ضعف كفار قريش وتشددهم وعتوهم إذا قيسوا بالأمم السابقة فإنهم لا يملكون من القوة نسبة واحد إلى ألف إذ المعشار هو عشر عشر العشر.[3]

٣ـ تقرير النبوة المحمدية واثباتها وذلك ينفى الجنّة عنه ﷺ وإثبات أنه نذير.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ

---

(١) المعشار العشر إذ هو الجزء العاشر كالمرباع الذي يعطي لقائد الكتيبة من الغنائم وهو ربعها.

(٢) هذا انتقال من حكاية أقوال المشركين والـرد عليهم إلى دعوتهم للانصاف في النظر والتأمل في الحقائق ليتضح لهم خطأهم وهذا من باب الإعذار لهم في المجادلة ليهلك من يهلك عن بينة ويحيى من حيء عن بينة.

(٣) قال القرطبي: وقيل المعشار هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء قال الماوردي وهو أظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل وما فسرت به الآية في التفسير أرجح وأوضح، وإن أريد به ما اتى الله هذه الأمة من العلـم والبيان فهذا المعنى صحيح غير انه لا يتلاءم مع سياق الآيات.

سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

قل إن ربي يقذف بالحق : أي يلقى بالوحي الحق إلى أنبيائه. ويقذف الباطل بالحق أيضا فيدمغه.

وما يبدىء الباطل وما يعيد : أي وما يبدى الباطل الذي هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا أثر له.

فإنما أضل على نفسي : أي إثم ضلالي على نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري.

إنه سميع قريب : أي سميع لما أقول لكم قريب غير بعيد فلايتعذر عليه مجازاة أحد من خلقه.

إذ فزعوا فلافوت : أي إذ فزعوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم منا بل هم في قبضتنا.

وأنى لهم التناوش من مكان بعيد : أي لما شاهدوا العذاب قالوا آمنا بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا.

(التناوش) التناول من مكان بعيد.

كما فعل بأشياعهم من قبل : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم الكفر والباطل.

في شك مريب : أي في شك بالغ من نفوسهم فأصبحوا به مضطربين لا يطمئنون الى شيء أبداً.

معنى الآيـات:

لمـا لج المشـركـون في الخصومة والعناد ودعاهم الله تعالى الى أمثل حل وهو أن يقوموا متجردين لله تعالى من الهوى والتعصب يقوموا اثنين اثنين أو واحداً واحداً لأن الجماعة من شأنها أن تخلتف مع الآراء ثم يتفكروا في حياة الرسول وما دعاهم إليه من الهدى والحق فإنكم تعلمون انه ليس كما اتهمتموه بالجنون وإنما هو نذير لكم بين يدي عذاب شديد يخاف وقوعه بكم ونزوله عليكم هنا أمره تعالى أن يقول لهم وكوني نذيراً لكم مما أخاف عليكم لا أسألكم على إنذاري لكم أجراً[1] ﴿إن أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد﴾ أي مطلع عليّ عالم بصدقي ويجزيني على إنذاري لكم إذ كلفني به فقمت به طاعة له. وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾[2] أي قل لهم يارسولنا إن ربي يقذف بالحق أي يلقى بالوحي على من يشاء من عباده ﴿علام الغيوب﴾[3] أي وهو علام الغيوب يعلم من هو أهل للوحي إليه والإرسال فيوحى إليه ويرسله كما أوحى إليّ وارسلني إليكم نذيراً وبشيراً. وقوله تعالى: ﴿قل جاء الحق ومايبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي قل لهم يارسولنا جاء الحق وهو الإسلام الدين الحق، فلم يبق للباطل الذي هو الشرك والكفر مكان ولا مجال، ومايبدىء الباطل وما يعيد؟ أي أنه كما لا يبدىء لا يعيد فهو ذاهب لا اثر له أبداً وقوله: ﴿قل[4] إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ أي أعلمهم بأنك إن ضللت فيما أنت قائم عليه تدعو إليه فإنما عائد ضلالك عليك لا عليهم، وإن اهتديت فهدايتك بفضل ما يوحى إليك ربك من الهدى والنور ﴿إنه سميع قريب﴾ سميع لأقوالك وأقوال غيرك غير بعيد فيتعـذر عليه مجازاة عباده صاحب الإحسان بالإحسان وصاحب السوء بالسوء. وقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ أي لرأيت أمراً قطعياً يقول تعالى لرسوله ولو ترى[5] إذ فزع المشركون في ساحات فصل القضاء يوم القيامة فزعوا من شدة الهول والخوف وقد أُخذوا من مكان قريب والقوا في جهنم لرأيت أمراً فظيعاً في غاية الفظاعة. وقوله ﴿فلا فوت

---

(١) أي جُعلا على تبليغ الرسالة فإن سألتكموه فهو لكم.

(٢) جائز أن يكون المعنى يقذف الباطل بالحق فيدمغه فإذا هو زهق كذا روي عن ابن عباس وقال قتادة بالحق أي بالوحي وعنه أن الحق القرآن والكل صحيح وما في التفسير أقرب وأوضح.

(٣) علام مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف أي هو علام الغيوب والغيوب جمع غيب وقرأ الجمهور بضم الغين وكسرها بعضهم كبيوت إذ يجوز لها الضم والكسر والآية فيها معنى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفيها رد على المعترضين على الوحي إلى محمد ﷺ.

(٤) لما أفحمهم في الآيات السابقة وقطع طريق الاستدلال عليهم وتركهم في غيهم حيارى أمر رسوله أن يقول لهم تاركاً جدالهم لعدم الفائدة منه بعد وضوح الحق ﴿إن ضللت﴾ الآية فعل هذا إنهاء لجدل عقيم.

(٥) الخطاب للرسول ﷺ ولكل ذي أهلية وجواب لو محذوف كأن اللفظ لا يقدر على تصويره على حقيقته لفظاعته وهو كذلك.

لهم﴾ لا يفوتون الله تعالى ولا يهربون من قبضته. وقوله تعالى: ﴿وقالوا آمنا به[1]﴾ أي قالوا بعد ما بُعثوا وفزعوا من هول القيامة قالوا آمنا به أي بالله وكتابه ولقائه ورسوله، قال تعالى ﴿وانى لهم[2] التناوش﴾ أي التناول للإيمان من مكان بعيد إذ هم في الآخرة والإيمان كان في الدنيا فكيف يتناولونه بهذه السهولة ويقبل منهم وينجون من العذاب هذا بعيد جداً ولن يكون أبداً وقد كفروا به من قبل أي لا سيما وأنهم قد عُرض عليهم الإيمان وهم قادرون عليه فرفضوه فكيف يمكنون منه الآن. وقوله ﴿ويقذفون بالغيب[3] من مكان بعيد﴾ أي وها هم اليوم في الدنيا يقذفون بالغيب محمداً ﷺ بقواصم الظهر مرة يقولون كاذب ومرة ساحر ومرة شاعر وأخرى مجنون وكل هذا رجما بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنى ريبة تدعوهم إليه وأخيرا قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ وهو الإيمان الموجب للنجاة كما فعل بأشياعهم[4] أي أشباههم وأنصارهم من أهل الكفر والتكذيب لما جاءهم العذاب قالوا آمنا ولم ينفعهم إيمانهم وأهلكوا فألقوا في الجحيم، وقوله ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ أي مشركو قريش وكفارها أخبر تعالى أنهم كانوا في الدنيا في شك من توحيدنا ونبينا ولقائنا مريب أي موقع لهم في الريب والاضطراب فلم يؤمنوا فماتوا على الكفر والشرك وهذا جزاء من يموت على الشرك والكفر.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- دعوة الله تعالى ينبغى أن لا يأخذ الداعى عليها أجراً، ويحتسب أجره على الله عز وجل.

٢- بيان صدق الله تعالى في قوله جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد إذ ما هو إلاَّ سُنيَّات والإسلام ضارب بجرانه في الجزيرة فلا دين فيها إلا الإسلام.

٣- الإيمان الاضطرارى لا ينفع صاحبه كإيمان من رأى العذاب.

٤- الشك كفر ولا إيمان مع رؤية العذاب.

---

(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو ليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن إذ الكل واجب الإيمان وقد كفروا بالكل وكذبوا.

(٢) أنَّى استفهام عن المكان وهو مستعمل هنا للإنكار والتناوش التناول السهل وأكثر وروده في شرب الإبل شرباً خفيفاً من الحوض ونحوه قال الشاعر:

باتت تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا

أي تتناول الماء من أعلاه ولا تغوص مشافرها فيه.

(٣) القذف الرمي باليد من بعد ويستعار للقول بدون تروّ ولا دليل وهو كقولهم في الأصنام هم شفعاؤنا عند الله وكتكذيبهم بالبعث والتوحيد والنبوة.

(٤) الأشياع: المتشابهون في النحلة وإن كانوا سالفين وأصل المشايعة المتابعة في العمل.

(٥) هذه الجملة تعليلية لكل ما سبق في تكذيبهم وعنادهم وجهلهم وضلالهم إذ الشك وعدم اليقين هو الذي يوقع صاحبه في أودية الضلال والباطل.

سُورَةُ فَاطِرٍ

مكيـــة

وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

شـرح الكلمات :

الحمـد لله : أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد ومقتضى الحمد ما ذكر بعد.

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما على غير مثال سابق.

جاعل الملائكة رسـلا : أي جعل منهم رسلا إلى الأنبياء كجبريل عليه السلام.

أولي أجنحـة : أي ذوى أجنحة جمع جناح كجناح الطائر.

يزيد في الخلق ما يشاء : أي يزيد على الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل ستمائة جناح.

وما يمســك : أي الله من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره سبحانه وتعالى.

وهو العزيز الحكيـم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه.

اذكروا نعمة الله عليكم : أي اذكروا نعمه تعالى عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم في حرمكم.

هل من خالق غير الله يرزقكم : أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكـم.

من السماء والأرض؟ : أي بإنزال المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض.

لا إله إلا هـو : أي لا معبود بحق إلا هو إذاً فاعبدوه ووحدوه.

فأنى تؤفكـــون : أي كيف تصرفون عن توحيده مع اعترافكم بأنه وحده الخالق الرازق.

معنى الآيـات :

قولـه تعـالى ﴿الحمـد لله فاطـر[1] السمـوات والأرض﴾ أي الشكـر الكـامـل والحمـد التـام لله استحقـاقـاً، والكـلام خَرَج مَخْـرج الخبـر ومعنـاه الإنشـاء أي قولـوا الحمـد لله. واشكـروه كمـا هو أيضـاً إخبـار منـه تعـالى بأن الحمـد له ولا مستحقـه غيره ومقتضى حمـده. فطره السمـوات والأرض أي خلقـه لهمـا على غير مثـال سابق ولا نموذج حاكاه في خلقهما. وجعله الملائكة[2] رُسُلاً إلى الأنبياء وإلى من يشاء من عباده بالإلهام والرؤيا الصالحة. وقوله ﴿أولي أجنحة﴾ صفة للملائكة أي أصحاب أجنحة مثنى أي اثنين اثنين، وثلاث أي ثلاثة ثلاثة ورباع أي أربعة أربعة. وقوله ﴿يزيد في الخلق﴾ أي خلق الأجنحة ما يشاء فقد خلق لجبريل عليه السلام ستمائة جناح كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحاح ويزيد في خلق[3] ما يشاء من مخلوقاته وهو على كل شيء قدير.

وقوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة[4] فلا ممسك لها﴾ يخبر تعالى أن مفاتيح كل شيء بيده فما يفتحُ للناس من أرزاق وخيرات وبركات لا يمكن لأحد من خلقه أن يمسكها دونه وما يمسك من ذلك فلا يستطيع أحد من خلقه أن يرسله، وهو وحده العزيز الغالب على أمره ومراده فلا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى الحكيم في صنعه وتدبير خلقه. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ هذا نداؤه تعالى لأهل مكة من قريش يأمرهم[5] بعده بأن يذكروا نعمه تعالى عليهم حيث خلقهم ووسع أرزاقهم وجعل لهم حرماً آمناً والناس يتخطفون من

---

(١) يصح في فاطر الجر على النعت والرفع على القطع أي هو فاطر والنصب على المدح أي امدح فاطر، والفطر: الشق يقال فطرته فانفطر وتفطر، وفطر ناب البعير إذا شق اللحم وطلع، والفاطر: الخالق، قال ابن عباس كنت لا أدري ما «فاطر السموات والأرض» حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها أي أنا ابتدأتها والمراد بالسموات والأرض العالم كله.

(٢) المراد بالملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل «ملك الموت» وما شاء الله.

(٣) جائز أن يكون في ملاحة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن والحظ الحسن كل هذا مذكور وداخل في العبارة فإنها عامة.

(٤) لفظ الرحمة نكرة دال على الكثرة والشيوع فهو يتناول كل ما هو رحمة من النبوة والعلم إلى المطر والرزق، إلى النصر والفوز.

(٥) أي بعد أن ناداهم أمرهم بأن يذكروا نعمه عليهم إذ نداء المأمور يلفت نظره ويحضر حواسه لاستقبال ما يلقى إليه ويؤمر به أو يحذر منه.

حولهم خائفون يأمرهم بذكر نعمه لأنهم إذا ذكروها شكروها بالإيمان به وتوحيده. وقوله ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض؟﴾ والجواب لا أحد إذ لا خالق إلا هو ولا رازق سواه فهو الذي خلقهم ومن السماء والأرض رزقهم. السماء تُمطر والأرض تنبت بأمره. إذاً فلا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو فكيف إذاً تصرفون عن الحق بعد معرفته إن حالكم لعجب.

هذا ما دل علي قوله تعالى ﴿هل من خالق غير[1] الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه.

٢ـ تقرير الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ بإخباره أنه جاعل الملائكة رسلاً.

٣ـ وجوب اللجوء الى الله تعالى في طلب الخير ودفع الضر فإنه بيده خزائن كل شيء.

٤ـ وجوب ذكر النعم ليكون ذلك حافزاً على شكرها بطاعة الله ورسوله.

٥ـ تقرير التوحيد بالأدلة العقلية التي لا ترد.

٦ـ العجب من حال المشركين يقرون بانفراد الله تعالى بخلقهم ورزقهم ويعبدون معه غيره.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

(١) قرىء غير الله بالجر وقرأ الجمهور غير بالرفع على محل خالق المرفوع محلاً في الآية دليل أن الخير والشر كلاهما من خلق الله تعالى.

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي يا رسولنا فيما جئت به مس التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك.

فقد كذبت رسل من قبلك : أي فلست وحدك كذبت إذاً فلا تأس ولا تحزن واصبر كما صبر من قبلك.

وإلى الله ترجع الأمور : وسوف يجزى المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم.

ولا يغرنكم بالله الغرور : أي ولا يغرنكم بالله أي في حلمه وإمهاله الغرور أي الشيطان.

فاتخذوه عدواً : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يغركم به واطيعوا ربكم عز وجل.

انما يدعو حزبه : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد.

ليكونوا من أصحاب السعير : أي ليؤول أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة.

لهم مغفرة وأجر كبير : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الجنة وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات.

معنى الآيات :

لما أقام تعالى الحجة على المشركين في الآيات السابقة قال لرسوله ﷺ ﴿وإن يكذبوك﴾[1] بعدما أقمت عليهم الحجة فلست وحدك المكذَّب فقد كذبت قبلك رسل كثيرون جاءوا أقوامهم بالبينات والزبر وصبروا إذاً فاصبر كما صبروا ﴿وإلى الله ترجع[2] الأمور﴾ وسوف يقضى بينك وبينهم بالحق فينصرك في الدنيا ويخذلهم، ويرحمك في الآخرة ويعذبهم.

وقوله ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ أي يا أهل مكة وكل مغرور من الناس بالحياة الدنيا إعلموا أن وعد الله بالبعث والجزاء حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا بطول أعماركم وصحة أبدانكم وسعة أرزاقكم، فإن ذلك زائل عنكم لا محالة ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ أي حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾[3] وهو الشيطان حيث يتخذ من حلم الله تعالى عليكم وامهاله لكم طريقاً إلى إغوائكم وإفسادكم بما يحملكم عليه من تأخير التوبة والإصرار على المعاصى، والاستمرار عليها ﴿إن الشيطان

---

(١) في هذه الآية تعزية الله تعالى رسوله ﷺ وتسليته له بالتأسي بمن قبله من الرسل وتكذيب أممهم لهم.

(٢) قرأ الجمهور ترجع بضم التاء وقرأ بعض بفتحها والكل صحيح ومآل المعنى واحد.

(٣) الغرور بالضم مصدر غره يغره غروراً، وبالفتح الشيطان وهو المراد هنا وصيغته من صيغ المبالغة «فعول» إذ هو كثير الغرور يأتيهم من حيث حلم الله وإمهاله فيصرفهم عن الحق مغرراً إياهم بأنهم لو كانوا على باطل لأهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم، ويُسوّف آخرين بحلم الله فيصرفهم عن التوبة.

لكم عدو﴾[1] بالغ العداوة ظاهرها فاتخذوه أنتم عدواً كذلك فلا تطيعوه ولا تستجيبوا لندائه، ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أي أتباعه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ أي النار المستعرة، إنه يريد أن تكونوا معه في الجحيم. إذ هو محكوم عليه بها أزلاً وقوله تعالى: ﴿الذين كفروا[2] لهم عذاب شديد﴾ أي في الآخرة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم المقيم. هذا حكم الله في عباده وقراره فيهم: وهم فريقان مؤمن صالح وكافر فاسد ولكل جزاء عادل.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تسلية الرسول ﷺ ويدخل فيها كل دعاة الحق إذا كُذِّبوا وأوذوا فعليهم أن يصبروا.

٢ـ تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق.

٣ـ التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق وسلامة البدن.

٤ـ التحذير من الشيطان ووجوب الاعتراف بعداوته ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقبيح والشر.

٥ـ بيان جزاء أولياء الرحمن أعداء الشيطان، وجزاء أعداء الرحمن أولياء الشيطان.

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ

---

(١) يكفي في إثبات عداوته انه أخرج أبوينا من الجنة، وأنه تعهد بإضلالهم وإغوائهم كقوله لأغوينهم أجمعين وقوله ولأضلنهم ولأمنينهم.

(٢) الذين كفروا: الجملة مستأنفة بيانياً لأنه بعد التحذير من طاعة الشيطان يلوح في الأذهان سؤال: ما جزاء من أطاع الشيطان وما جزاء من عصاه؟ فالجواب الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ويرى بعضهم انها ابتدائية ذكرت فذلكة لما تقدم من الكلام.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

شـرح الكلمات :

أفمن زين له سوء عمله : أي قبيح عمله من الشرك والمعاصى .

فرآه حسـناً : أي رآه حسناً زيناً لا قبح فيه .

فلا تذهب نفسك عليهم : أي على أولئك الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم .

حســرات : أي لا تُهلِك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم .

إن الله عليم بما يصنعون : وسيجزيهم بصنيعهم الباطل .

فتثير سـحاباً : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير .

فسقناه الى بلد ميت : أي لا نبـات به .

فأحيينا به الأرض : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع .

كذلك النشـور : أي البعث والحياة الثانية .

فلله العزة جميعاً : أي فليطلب العزة بطاعة الله فإنها لا تنال إلا بذلك .

إليه يصعد الكلم الطيب : أي الى الله تعالى يصعد الكلم الطيب وهو سبحان الله والحمد لله والله أكبر.

والعمل الصالح يرفعه : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع الى الله الكلم الطيب .

يمكرون السيئات : أي يعملونها ويكسبونها.

ومكر أولئك هـو يبور : أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل .

خلقكم من تراب : أي أصلكـم وهو آدم .

ثم من نطفـة : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذُريَّة آدم .

ثم جعلكم أزواجاً	: أي ذكراً وأنثى .
وما تحمل من أنثى	: أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه .
وما يعمر من معمر	: أي وما يطول من عُمر ذي عُمر طويل إلا في كتاب .
ولا ينقص من عمره	: أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل الا في كتاب .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في تقوية روح الرسول ﷺ والشد من عزمه أمام تقلبات المشركين وعنادهم ومكرهم فقال تعالى : ﴿أفمن[1] زيّن له سوءُ عمله فرآه حَسناً[2]﴾ أي أفمن زين له الشيطان ونفسه وهواه قبيح عمله وهو الشرك والمعاصي فرآه حسناً كمن هداه‌الله فهو على نور من ربّه يرى الحسنة حسنة والسيئة سيئة والجواب : لا ، لا . وقوله تعالى : ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء﴾ يضل بعدله وحسب سننه في الإضلال من يشاء من عباده ، ويهدى بفضله من يشاء هدايته إذاً فلا تذهب[3] نفسك أيها الرسول على عدم هدايتهم حسرات فتهلك نفسك تحسُّراً على عدم هدايتهم . وقوله ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ فلذا لا داعى إلى الحزن والغـمّ مادام الله تعالى وهو ربهم قد أحصى أعمالهم وسيجزيهم بها وقوله تعالى ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ أي تزعجه وتحركه . ﴿فسقناه إلى بلد ميّت[4]﴾ أي لا نبات ولا زرع به ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ أي كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى إذ بعد فناء العالم ينزل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت الإنسان من عظم يقال له عَجْبُ الذَّنَبَ فيتم خلقه ، ثم يرسل الله تعالى الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فلا تخطىء روح جسدها . وهكذا كما تتم عملية إحياء الأرض بالنبات تتم عملية إحياء الأموات ويساقون إلى المحشر ويجزى كل نفس بما كسبت والله سريع الحساب .

---

(١) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ والمزين الشيطان والمزين له سوء عمله (من) الموصولية وهي من ألفاظ العموم تتناول من قيل ان الآية نزلت فيه وهو أبو جهل ثم هي صادقه على كل من زين له الشيطان الشرك والشر والفساد فرآها حسنة ، (ومن) مبتدأ والخبر محذوف قد يقدر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقد يقدر كمن هداه الله كما في التفسير وقد يقدر بغير ما ذكر .

(٢) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالاً فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل إنهم اليهود والنصارى والمجوس وسوء عمله معاداة الرسول ﷺ ، وقيل إنهم الخوارج وسوء عمله تحريف التأويل وقيل الشيطان وعمله الإغراء وقيل كفار قريش وهو الظاهر .

(٣) قرأ الجمهور فلا تذهب نفسك بفتح التاء ورفع السين من نفسك وقرىء بضم التاء ونصب نفسك على انها مفعول به .

(٤) الراجح من الأقوال لغة أن ميت مشددة وميت مخفف لا فرق بينهما وشاهده قول الشاعر :

ليس من مات واستراح بميْت إنما الميْت ميْت الأحياء

وقوله تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فلْيَطلُبْها من الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله فإن العزة لله جميعاً فالعزيز من أعزه الله والذليل من أذله، إنهم كانوا يطلبون العزة بالأصنام فاعلموا أن من يريد العزة فليطلبها من مالكها أما الذي لا يملك العزة فكيف يعطيها لغيره إن فاقد الشيء لا يعطيه. وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ أي إلى الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه الى الله تعالى فإذا كان قول بدون عمل فإنه لا يرفع الى الله تعالى ولا يثيب عليه، وقد ندد الله تعالى بالذين يقولون ولا يعملون فقال ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾. وقوله ﴿والذين يمكرون السئيات﴾ أي يعملونها وهي الشرك والمعاصى ﴿لهم عذاب شديد﴾ هذا جزاؤهم، ﴿ومكر أولئك هو[1] يبور﴾ أي ومكر الذين يعملون السيئيات ﴿هو يبور﴾ أي يفسد ويبطل.

وقوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب﴾ أي خلق أصلنا من تراب وهو آدم، ثم خلقنا نحن ذريته من نطفة وهي ماء الرجل وماء المرأة، ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أي ذكراً وأنثى. هذه مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وتوحيده والمقتضية للبعث والجزاء، وقوله ﴿وما تحمل[2] من أُنثى ولا تضع إلا بعلمـــه وما يعمر من معمر﴾ أي يزاد في عمره، ولا ينقص من عمره فلا يزاد فيه إلا في كتاب وهو كتاب المقادير. هذا مظهر من مظاهر العلم، وبالعلم والقدرة هو قادر على إحياء الموتى ويعث الناس للحساب والجزاء. ولذا قال تعالى ﴿إن ذلك﴾ أي المذكور من الخلق والتدبير ووجوده في كتاب المقادير على الله يسير أي سهل لا صعوبة فيه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ التحـذير من اتبـاع الهوى والاستجابة للشيطان فان ذلك يؤدى بالعبد الى أن يصبح يرى الأعمـال القبيحـة حسنة ويومها يحرم هداية الله فلا يهتدى أبداً وهذا ينتج عن الإدمان على المعاصى والذنوب.

٢ـ عملية إحياء الأرض بعد مرتها دليل واضح على بعث الناس أحياءً بعد موتهم.

---

(١) المكر: تدبير الحاق الضرر بالغير في خفية. والمراد هنا ان الذين يمكرون بالرسول ﷺ والمؤمنين مكرهم يذهب سدى ولا يفلحون فيه كما أن الآية تشير إلى أن كل من يمكر مكر السوء فإن عاقبة مكره تعود عليه وبالا وخسراناً كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

(٢) فما يكون حمل ولا وضع أي ولادة إلا بعلمه، فلا يخرج شيء عن تدبيره وحكمته وما يعمر سماه معمراً باعتبار ما هو صائر إليه وفي الحديث الصحيح: من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أَثرِهِ أي أجله فليصل رحمه.

٣ـ مطلب العزة مطلب غال، وهو طاعة الله ورسوله ولا يعز أحد عزاً حقيقياً بدون طاعة الله ورسوله .

٤ـ عِلم الله المتجلى في الخلق والتدبير يُضافُ إليه قدرته تعالى التى لا يعجزها شيء بهما يتم الخلق والبعث والجزاء .

٥ـ تقرير البعث والجزاء وتقرير كتاب المقادير وهو اللوح المحفوظ .

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

شـرح الكلمـات :

عـذب فرات	: أي شديد العذوبة .
وهذا ملح أجاج	: أي شديد الملوحة .
ومن كل تأكلون	: أي ومن كل منهما .
لحماً طريا	: أي الســمك .
حلية تلبسونها	: أي اللـؤلـؤ والمرجان .

مواخـر	: أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر.
لتبتغوا من فضله	: أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالى.
ولعلكم تشكرون	: أي رجاء أن تشكروا الله تعالى على ما رزقكم.
يولج الليل في النهار	: أي يدخل الليل في النهار فيزيد.
ويولج النهار في الليل	: أي يدخل النهار في الليل فيزيد.
وسخر الشمس والقمر	: أي ذللهما.
كل يجرى لأجل مسمى	: أي في فلكه إلى يوم القيامة.
والذين تدعون	: أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام.
ما يملكون من قطمير	: أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهى بيضاء رقيقة.
ولو سمعوا	: أي فرضاً ما استجابوا لكم.
يكفرون بشرككم	: أي يتبرأون منكم ومن عبادتكم إياهم.
ولا يُنبئك مثل خبير	: أي لا ينبئك أي بأحوال الدارين مثلى فإني خبير بذلك عليم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمة تدبيره لخلقه وهي مظاهر موجبة لله العبادة وحده دون غيره، ومقتضية للبعث الذي أنكره المشركون قال تعالى ﴿وما يستوى البحران﴾[2] أي لا يتعادلان. ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾[1] أي ماؤه عذب شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي ماؤه شديد الملوحة لمرارته مع ملوحته، فهل يستوي الحق والباطل هل تستوي عبادة الأصنام مع عبادة الرحمن؟ والجواب لا. وقوله: ﴿ومن كل تأكلون﴾ أي ومن كل من البحرين العذب والملح تأكلون لحماً طرياً وهو السمك ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ أي اللؤلؤ والمرجان. وهي حلية يتحلى بها النساء للرجال، وقوله ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ أي وترى أيها السامع لهذا الخطاب ﴿الفلك﴾ أي السفن مواخر في البحر تمخر عباب البحر وتشق ماءه غادية رائحة تحمل الرجال والأموال، سخرها وسخر البحر ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي الرزق بالتجارة، ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي سخر لكم البحر لتبتغوا من فضله ورجاء أن تشكروا. لم يقل لتشكروا كما قال

---

(١) معنى سائغ شرابه أن شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإساغة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة قال الشاعر:

فساغ لى الشراب وكنت قبلا   أكاد أغص بالماء الفرات

(٢) المالح من الطعام والشراب: هو الذي يجعل فيه الملح والملح بكسر الميم وسكون اللام الشيء الموصوف بالملوحة بذاته لا بإلقاء الملح فيه والأجاج الشديد الملوحة.

لتبتغوا لأن الابتغاء حاصل من كل راكب، وأما الشكر فليس كذلك بل من الناس من يشكر ومنهم من لا يشكر، ولذا جاء بأداة الرجاء وهي لعل وقوله ﴿يولج الليل[1] في النهار﴾ أي يدخل جزءاً من الليل في النهار فيطول، ويقصر الليل ﴿ويولج النهار في الليل﴾ أي يدخل جزءاً منه في الليل فيطول كما أنه يدخل النهار في الليل، والليل في النهار بالكلية فإنه إذا جاء أحدهما ذهب الآخر ويشهد له قوله تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ ولازمه والنهار نسلخ منه الليل، فإذا الليل ليل والنهار نهار.

وقوله ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما فما يسيران الدهر كله بلا كلل ولا ملل لصالح العباد إذ بهما كان الليل والنهار، وبهما تعرف السنون والحساب وقوله ﴿كل يجرى﴾ أي كل منهما يجرى ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي إلى وقت محدد وهو يوم القيامة. ولما عرف تعالى نفسه بمظاهر القدرة قدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته قال للناس ﴿ذلكم[2] الله ربكم له الملك﴾ أي بعد أن أقام الحجة وأظهر الدليل لم يبق الا الإعلان عن الحقيقة التي يتنكر لها الكافرون فأعلنها بقوله ﴿ذلكم﴾ ذو الصفات العظام والجلال والإكرام هو الله ربكم الذي لا رب لكم سواه له الملك، وليس لغيره فلا يصح طلب شيء من غيره، إذ الملك كله لله وحده، وأما الذين تدعون من دونه أي تعبدونهم من دونه وهي الأصنام والأوثان وغيرها من الملائكة والأنبياء والأولياء فإنهم لا يملكون من قطمير فضلا عن غيره تمرة فما فوقها لأن الذي لا يملك قطميراً ـ وهو القشرة الرقيقة على النواة[3] ـ لا يملك بعيراً.

وقوله ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ نعم لا يسمعون لأنهم جمادات وأصنام من حجارة فكيف يسمعون وعلى فرض لو أنهم سمعوا ما استجابوا لداعيهم لعدم قدرتهم على الاستجابة. وقوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ فهم إذاً محنة لكم في الدنيا تنحتونهم وتحمونهم وتعبدونهم ويوم القيامة يكونون أعداء لكم وخُصُوماً فيتبرءون من شرككم إياهم في عبادة الله، فتقوم عليكم الحجة بسببهم فما الحاجة إذاً إلى الإصرار على عبادتهم وحمايتهم والدفاع عنهم. وقوله تعالى ﴿ولا ينبئك﴾ أيها السامع ﴿مثل خبير﴾[4] وهو الله تعالى فالخبير أصدق من ينبىء

---

(١) هذا استدلال بمظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة بما في العالم العلوي بعد الاستدلال بما في العالم السفلي من ذلك.

(٢) هذا استئناف موقعه موقع النتيجة من الأدلة السابقة وهي أدلة مفصلة في غاية القوة والوضوح.

(٣) جاء في القرآن ذكر النقير والقطمير والفتيل واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح: ان النقير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط الأبيض في وسط النواة، وأن القطمير اللفافة البيضاء على النواة.

(٤) خبير صفة مشبهة مشتقة من خبر بضم الباء فلان الأمر إذا علمه علما لا شك فيه وأجريت هذه الجملة مجرى المثل يقال (ولا ينبئك مثل خبير).

وأصح من يقول فالله هو العليم الخبير وما أخبر به عن الآلهة في الدنيا والآخرة في الدنيا عن عجزها وعدم غناها وفي الآخرة عن براءتها وكفرها بعبادة عابديها. فهو الحق الذي لا مرية فيه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير ربوبية الله المستلزمة لألوهيته.

٢- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة وبها تقرر ربوبيته تعالى وألوهيته لعباده.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر يوم القيامة وبراءة الآلهة من عابديها.

٤- بيان عجز الآلهة عن نفع عابديها في الدنيا وفي الآخرة.

٥- تقرير صفات الكمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾

شرح الكلمات:

أنتم الفقراء إلى الله : أي المحتاجون إليه في كل حال.

والله هو الغني الحميد : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها.

ويأت بخلق جديد : أي بدلا عنكم.

وما ذلك على الله بعزيز : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائز الوقوع .
ولا تزر وازرة وزر أخرى: أي في حكم الله وقضائه بين عباده أنّ النفس المذنبة الحاملة لذنبها لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل وازرة تحمل وزرها وحدها .
وان تدع مثقلة : أي بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة .
لا يحمل منه شيء : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض ذنبها حتى لو دعت ابنها أو أباها أو أمها فضلا عن غيرهم ، بهذا حكم الله سبحانه وتعالى .
يخشون ربهم بالغيب : أي لأنهم ما رأواه بأعينهم .
ومـن تزكـى : أي طهّر نفسه من الشرك والمعاصي .
فإنما يتزكّى لنفسه : أي صلاحه واستقامته على دين الله ثمرتهما عائدة عليه .

معنى الآيـات :

بعـد تلك الأدلـة والحجج التي سيقت في الآيات السابقة وكلها مقررة ربوبية الله تعالى وألوهيته وموجبة توحيده وعبادته نادى تعالى الناس بقوله ﴿يا أيها الناس﴾ ليعلمهم بأنه وان خلقهم لعبادته وأمرهم بها وتوعد بأليم العذاب لمن تركها ولم يكن ذلك لفقر منه إليها ولا لحاجة به إليهم فقال﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله[1] ،والله هو الغني الحميد﴾إن عبادة الناس لربّهم تعود عليهم فيكملون عليها في أخلاقهم وأرواحهم ويسعدون عليها في دنياهم وآخرتهم أما الله جل جلاله فلا تنفعه طاعة ولاتضره معصية . وهو الغنى عن كل ما سواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بنعمه فكل نعمة بالعباد موجبة له الحمد والشكر.وقوله :﴿إن يشأ يذهبكم ويأت[2] بخلق جديد﴾ وهذا دليل غناه ؛ وافتقارهم كما هو دليل قدرته وعلمه ، وقوله : ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي إذهابهم والإتيان بخلق جديد غيرهم ليس بالأمر العزيز الممتنع ولا بالصعب المتعذر بل هو اليسير السهل عليه تعالى .

---

(١) في قوله تعالى انتم الفقراء قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الفقر على الناس وهو قصر إضافي بالنسبة إلى الله تعالى أي انتم المفتقرون إلى الله وليس هو بمفتقر إليكم ووصفه تعالى نفسه بالحميد إشعار بأن غناه مقترن بجوده فهو يحمد لما يسديه من المعروف إلى عباده.

(٢) الجملة بيانية فهي مبنية لغناه وموجب حمده والثناء عليه ببيان قدرته على إعلام الموجود من عباده والإتيان بخلق جديد غيرهم ومن كان هكذا هو الغني الحق والمحمود الحق فلله الحمد وله المنة.

وقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1] هذا مظهر عدالته تعالى فهو مع قدرته وقهره لعباده ذو عدل فيهم فلا يؤاخذ بغيرجرم، ولا يحمل وزر نفس نفساً أخرى لم تذنب ولم تزر بل كل نفس تؤخذ بذنبها إن كانت مذنبة هذه عدالته تتجلى لعباده يوم يعرضون عليه في يوم كله هول وفزع يدل عليه قوله ﴿وان تدع مثقلة﴾[2] أي بذنوبها ﴿إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان﴾[3] من تدعوه ﴿ذا قربى﴾كالولد[4] والبنت. وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين[5] يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي انما تنذر يارسولنا ويقبل إنذارك وينتفع به من يخشون ربهم ويخافون عذابه بالغيب وأقاموا الصلاة، أما غيرهم من أهل الكفر والعناد والجحود فإنهم لا يقبلون إنذارك ولا ينتفعون به لظلمة جهلهم وكفرهم وقساوة قلوبهم، ومع هذا فأنذر ولا عليك في ذلك شيء فإن من تزكى بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي فإنما يتزكّى لنفسه لا لك ولا لنا، ومن أبى فعليه إباؤه، وإلينا مصير الكل وسنجزى كلّاً بما كسب من خير وشر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾[6]

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان فقـر العبـاد الى ربهم وحـاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.

٢ـ بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة.

٣ـ بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.

---

(١) وازرة صفة لمحذوف أي نفس وازرة وكذا وإن تدع مثقلة أي نفس مثقلة وتزر اصلها توزر فحذفت الواو تخفيفاً إذ الفعل وزر يوزر فحذفت الواو كما حذفت في وعد يعد ووزن يزن.

(٢) وإن تدع مثقلة اي أحداً إلى حملها.

(٣) أي المدعو ذا قربى.

(٤) قال الفضيل بن عياض هي المرأة تلقى ولدها فتقول يا ولدي ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول بلى يا أماه فتقول يا بني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول إليك عني يا أماه فإني بذنبي عنك مشغول.

(٥) الجملة مستأنفة بيانياً لأن الحال تستدعي سؤالا وهو لِمَ لَمْ يتأثر المشركون بالإنذار فالجواب إنما يقبل النذارة ويستجيب للمنذر أهل الإيمان والخشية لله تعالى لأنهم أحياء وأما الكافرون فهم أموات وهل يستجيب غير الحي؟ وفي الآية دليل على قوة تأثير الصلاة في تزكية النفوس وتطهير الأرواح.

(٦) هذه الجملة تذييل للجملة المذيل بها قبلهاوهي قوله تعالى: ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وهي تفيد تقرير البعث والجزاء وهما مما ينكر المشركون كما تفيد التسلية للرسول ﷺ والتهديد للكافرين أيضـاً فإن من صار إلى الله اخذه بذنبه.

٤ـ بيان أن الإنذار والتخويف من عذاب الله لا ينتفع به غير المؤمنين الصالحين.

٥ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.

٦ـ تقرير حقيقة وهي أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات:

وما يستوى الأعمى والبصير : أي لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان.

ولا الظلمات ولا النور : أي لا يستويان فكذلك الكفر والإيمان لا يستويان.

ولا الظل ولا الحرور : أي لا يستويان فكذلك الجنة والنار لا يستويان.

وما يستوى الاحياء ولا الأموات: فكذلك لا يستوى المؤمنون والكافرون.

وما أنت بمسمع من في القبور : أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات.

إن أنت الا نذير : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار.

إنا أرسلناك بالحق : أي بالدين الحق والهدى والكتاب.

وإن من أمة إلا خلا فيها نذير : أي سلف فيها نبيٌّ ينذرها.

جاءتهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والأدلة الواضحة.

وبالزبر وبالكتاب المنير : أي وبالصحف كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل.

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب هو واقع موقعه والحمد لله.

معنى الآيـات :

لمّـا تقدم في السياق الكريم أن إنذار الرسول ﷺ لا ينتفع به إلا المؤمن المقيم للصلاة وإن الكافر المكذب الجاحد لا ينتفع به ذكر تعالى هنا مثلا للكافر والمؤمن وانهما لا يستويان فقال ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾[1] فالأعمى الكافر والبصير المؤمن وهما لا يستويان في عقل ولا شرع ﴿ولا الظلمات[2] ولا النور﴾ أي ولا تستوى الظلمات ولا النور كما لا يستوى الكفر والإيمان ولا الظل ولا الحرور،[3] فبرودة الجو، لا تستوى مع حرارته فكذلك الجنّة لا تستوى مع النار، وقوله ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ أي ولا المؤمنون مع الكافرين كذلك وقوله تعالى ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾[4] هذا شروع في تسلية الرسول ﷺ من أجل ما يجد في نفسه من إعراض قومه وعدم استجابتهم لدعوته، فأخبره ربه بأنه تعالى قادر على أن يسمع من يشاء إسماعه وذلك لقدرته على خلقه أما أنت أيها الرسول فإنك لا تسمع الأموات وانمـا تسمـع الأحياء، والكفار شأنهم شأن الأموات في القبور فلا تقدر على اسماعهم. ولا يحزنك ذلك فإنك ما أنت إلا نذير، والنذير ينذر ولا يُسأل عمن أجابه ومن لم يجبه.

وقوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ بهذا الخبر يقرر تعالى رسالة رسوله محمد ﷺ وأنه أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً لمن آمن به واتبع هداه بالجنة، ونذيراً لمن كفر به وعصاه

---

(١) قال القرطبي الكافر والمؤمن والعالم والجاهل.

(٢) قيل لا زائدة في كل من قوله تعالى ولا الظل ولا الحرور ولا الأموات واختلف في أيهما يكون بالليل وأيهما يكون بالنهار الحرور أو السموم وفي حديث الرسول ﷺ بيان ذلك وأن كلاهما يقع في النهار كما يقع في الليل إذ قال ﷺ: فما تجدون من الحر فمن سمومها وشدة ما تجدون من البرد فمن زمهريرها.

(٣) قال قطرب أحد أعلام اللغة: الحرور: الحر والظل البرد.

(٤) قرأ الجمهور بتنوين بمسمعٍ وقرىء بمسمع بكسرة واحدة والمراد بمن في القبور الكفار حيث أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات فإنك لا تسمع من مات قلبه بالجهل وظلمة الكفر.

بالنار. وقوله ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[1]، يخبر تعالى أن رسوله محمداً ليس الرسول الوحيد الذي أرسل في أمة بل إنه ما من أمة من الأمم الا مضى فيها نذير، فلا يكون إرساله عجباً لكفار قريش إذ هذه سنة الله تعالى في عباده يرسل إليهم من يهديهم إلى نجاتهم وسعادتهم ثم قال لرسوله ﷺ معزياً له مسلياً ﴿وإن يكذبوك﴾ فلم[2] يكونوا أول من كذب فقد كذب الذين من قبلهم ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾ أي جاءتهم رسلهم بالحجج القواطع والبراهين السواطع، والمعجزات الخوارق، وبالصحف والكتب المنيرة لسبيل الهداية وطريق النجاة والفلاح. ومنهم من آمن ومنهم من كذب وكفر وبعد إمهال وإنظار دَلَّ عليه العطف بثم أخذ الذين كفروا بعذاب ملائم لكفر الكافرين. ﴿فكيف كان نكير[3]﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة الشديدة والإهلاك التام إنه كان واقعاً موقعه، موافيا لطالبه بكفره وعناده.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال للكشف عن الحال وزيادة البيان.

٢ـ الكفار عمى لا بصيرة لهم، وأموات لا حياة فيهم، والدليل عدم انتفاعهم بحياتهم ولا بأسماعهم ولا أبصارهم.

٣ـ تقرير نُبوَّة الرسول محمد ﷺ وتأكيد رسالته.

٤ـ تسلية الدعاة ليتدرّعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.

٥ـ بيان سنة الله في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ
مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ

---

(١) أي سلف فيها نبي قال ابن جريج إلا العرب إذ أراد انه لم يخل فيهم نذير مطلقاً فهذا غير صحيح إذ بعث فيهم إسماعيل وتبع وغيرهما وإن أراد في الزمن القريب فهذا صحيح.

(٢) في الآيات تسلية للنبي ﷺ ظاهرة تطلبها المقام حيث أصر المشركون على تكذيبه وعدم الإيمان بما جاءهم به من الهدى والدين الحق.

(٣) استفهام مستعمل في التعجب من حالهم مفرع بالفاء على قوله اخذت الذين كفروا والنكير اسم لشدة الإنكار وهو هنا كناية عن شدة العقاب لأن الإنكار يستلزم الجزاء على الفعل المنكر بالعقاب وحذفت ياء المتكلم في نكيري تخفيفاً ولرعاية الفواصل في الوقف.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

ثمرات مختلفا ألوانها : أي كأحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره.

ومن الجبال جدد : أي طرق في الجبال إذ الجدة الطريق ومنه جادة الطريق.

بيض وحمر مختلف ألوانه : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضا.

وغرابيب سود[1] : منها الأبيض والأصفر والأسود الغربيب.

ومن الناس والدواب والأنعام : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود.

مختلف ألوانه كذلك : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها.

انما يخشى الله من عباده العلماء : أي العالمين بجلاله وكماله، إذ الخشية متوقفة على معرفة المخشيّ.

يتلون كتاب الله : أي يقرأونه تعبداً به.

تجارة لن تبور : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها.

غفور شكور : أي غفور لذنوب عباده التائبين شكور لأعمالهم الصالحة.

معنى الآيات :

هذا السياق الكريم ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾[2] في بيان تفاوت المخلوقات واختلافاتها فمن مؤمن إلى كافر، ومن صالح إلى فاسد ومن أبيض إلى أحمر أو أسود وابتداء تعالى بخطاب رسوله مقرراً له بقوله ﴿ألم تر﴾ أي ألم تبصر بعينك أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ما بين تمر أصفر وآخر أحمر، وآخر أسود وهذا واضح في التمر

---

(١) الغربيب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب إذ العرب تقول للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غربيب.

(٢) من هداية هذه الآية الإشارة الواضحة إلى وجود اختلاف بشرى جبلّيّ فطري كما هو في سائر الكائنات الأرضية، وفي النباتات والحيوانات وحتى الجبال والمعادن ومن عرف هذا هان عليه اختلاف الناس ولم يحزن له ولم يهتم ويكرب.

والعنب والفواكه والخضر، ومن الجبال كذلك. فإن فيها جدد[1] أي خطط حمراء وصفراء وبيضاء وسـوداء والجبـال نفسهـا كذلك، ومن الناس والدواب والأنعام ففي جميعها الأبيض والأسود والأحمـر والأصفـر كمـا في جدد الجبـال نفسها وكما في الثمار. ولما كان هذا لا يدركه إلا المفكرون ولايجنى منه العبرة إلا العالمون قال تعالى ﴿إنما يخشى[2] الله من عباده العلماء﴾ وأهل مكة جهال لا يفكرون ولا يهتدون فلا غرابة إذا لم يخشوا الله تعالى ولم يوحدوه وذلك لجهلهم وعدم تفكيرهم.

وقوله تعالى في ختام السياق: ﴿إن الله عزيز غفور﴾[3] كشف عن حقيقة ينبغي أن يعرفها أهل مكة المصرون على الكفر والتكذيب وهي أن الله قادر على أخذهم والبطش بهم فإنه عزيز لا يمانع فيما يريده وغفور لذنوب التائبين من عباده ومهما كانت ذنوبهم الا فليتب أهل مكة فإن توبتهم خير لهم من إصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب إذ في التوبة نجاة، وفي الإصرار هلاك.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾[4] وهم المؤمنون ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أدوها أداء وافيا لا نقص فيه ﴿وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ الزكاة والصدقات بحسب الأحوال والظروف سراً أحياناً وعلانية أحياناً أخرى. يُخبر تعالى عنهم بعدما وصفهم بما شرفهم به من صفات أنهم يرجون تجارة لن تبور أي لن تهلك ولن تخسر وذلك يوم القيامة وقوله ﴿ليوفيهم أجورهم[5] ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ أيْ هداهم لذلك ووفقهم إليه تعالى ليوفيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله. وعلة ذلك أنه غفور لعباده المؤمنين التائبين فيغفر ذنوبهم ويدخلهم جنته شكور لطاعاتهم وصالح أعمالهم فلذا يضاعف لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وله الحمد والمنة.

---

(١) الجـدد جمع جدّة وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه.

(٢) في الجملة قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الخشية على العلماء دون الجهلة وبهذا عَلا شأن العلماء وعظم قدرهم قال رسول الله ﷺ: إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم تلا إنما يخشى الله من عباده العلماء والمراد بالعلمـاء العالمون بالله أي بأسمائه وصفاته ومحابه ومكارهه وما عنده من نعيم لأوليائه وما لديه من عذاب لأعدائه، وآية العالم الخشية لله والمحبه له تعالى فمن لم يَخشَ الله تعالى فليس بعالم.

(٣) الجملة تذييلية مشعرة بغنى الله تعالى عن عباده قدير على أخذهم متى أراد بهم ذلك، ذو مغفرة لهم متى تابوا إليه وطلبوا مرضاته ولو عرف المشركون هذا ما أصروا على الشرك ولكنهم لا يعلمون.

(٤) لما أثنى على العلماء بما وصفهم به من الخشية وكان في الكلام ايجاز أوضحه بهذه الجملة فقال إن الذين يتلون كتاب الله، وما تلا كتاب الله غير مؤمن عالم ولا أقام الصلاة وأنفق سرا وعلانية إلا ذو خشية ومحبة بعدما وصفهم وحددهم بشرهم بقوله يرجون تجارة لن تبور.

(٥) التوفية جعل الشيء وافياً أي تاماً لانقيصة فيه ولا غبن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات .

٢ـ العلم سبيل الخشية فمن لا علم له بالله فلا خشية له إنما يخشى الله من عباده العلماء .

٣ـ فضل تلاوة القرآن الكريم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات .

٤ـ في وصف الله تعالى بالغفور والشكور ترغيب للمذنبين أن يتوبوا ، وللعاملين أن يزيدوا .

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

من الكتاب . أي القرآن الكريم .

مصدقا لما بين يديه : أي من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل .

ثم أورثنا الكتاب : أي الكتب التى سبقت القرآن إذ محصلها في القرآن الكريم .

الذين اصطفينا : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فمنهم ظالم لنفسه : بارتكاب الذنـوب.
ومنهم مقتصـد : مؤدٍ للفرائض مجتنب للكبائر.
ومنهم سابق بالخيرات : مؤدٍ للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر.
بإذن الله : أي بتوفيقه وهدايته.
ذلـك : أي إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير.
ولـؤلـؤاً : إي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب.
أحلنا دار المقامة : أي الإقامة وهي جنات عدن.
لا يمسنا فيها نصب : أي تعـب.
ولا يمسنا فيها لغوب : أي إعياء من التعب، وذلك لعدم التكليف فيها.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب[1]﴾ أي القرآن الكريم هو ﴿الحق﴾ أي الواجب عليك وعلى أمتك العمل به لاما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل، ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي أمامه من الكتب السابقة، وقوله ﴿إن الله بعباده لخبير[2] بصير﴾ فهو تعالى يعلم أن الكتب السابقة لم تصبح تحمل هداية الله لعباده لما داخلها من التحريف والتغيير فلذا مع علمه بحاجة البشرية إلى وحي سليم يقدم إليها فتكمل وتسعد عليه متى آمنت به وأخذته نوراً تمشي به في حياتها المادية هذه أرسـلك وأوحى إليك هذا الكتاب الكريم وأوجب عليك وعلى أمتك العمل به.

وقـولـه تعـالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب[3] الذين اصطفينا من عبادنا﴾ يخبر تعالى أنه أورث أمة الإسلام الكتاب السابق إذ كل ما في التوراة والإنجيل من حق وهدى قد حواه القرآن الكريم فأُمة القرآن قد ورِّثها الله تعالى كل الكتاب الأول. وقوله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه[4]﴾ بالتقصير في العمـل وارتكـاب بعض الكبائر، ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدى للفرائض المجتنب للكبائر،

---

(١) في الآية الإشادة بالكتاب الذي يتلوه المؤمنون فيثابون ويزادون لأنه الكتاب الحق الخالي من الزيادة والنقص المصدق لما تقدمه من الكتب الإلهية السابقة وضمن هذا يقرر النبوة المحمدية واثباتها والإشادة بصاحبها.

(٢) الخبير: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية وصاحب هذه الصفة هو الذي يجب أن يعبد ويتقى.

(٣) حاول كثير من المفسرين البعد عن الحقيقة التي تضمنتها هذه الآية وهي أن الآية في أمة محمد ﷺ إن هي التي قال الله تعالى فيها هو اجتباكم والاجتباء كالاصطفاء والظالم لنفسه لا يكون الكافر ولا المنافق وانما هو المؤمن يغشى بعض الكبائر وما في التفسير هو الحق فتأمله.

(٤) فمنهم: هذه الفاء التفريعيّة التفصيلية حيث فصل بها مجمل الذين أوتوا الكتاب والبداية بالظالمين لأنفسهم إيماء إلى أنهم غير محرومين من جنات عدن دفعاً لمن يتوهم أنهم لما كانوا ظالمين لا يدخلون الجنة.

﴿ومنهم سابق للخيرات بإذن الله﴾ وهو المؤدى للفرائض والنوافل المجتنب للكبائر والصغائر.
وقوله: ﴿ذلك﴾ أي الإيراث للكتاب هو الفضل الإلهي الكبير وهو ﴿جنات عدن[1] يدخلونها يوم القيامة يحلون فيها من أساور﴾ جمع سوار مايجعل في اليد ﴿من ذهب ولؤلؤا﴾ أي أساور من لؤلؤ، ولباسهم فيها حرير.

وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن[2]﴾ أي كل الحزن فلا حزن يصيبهم إذ لا موت في الجنة ولا فراق ولا خوف ولا هَمٌّ ولا كرب فمِنْ أين يأتي الحزن. وقولهم ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ قالوا هذا لأنه تعالى غفر للظالم وشكر للمقتصد عمله فأدخل الجميع الجنة فهو الغفور الشكور حقاً حقاً.

وقولهم: ﴿الذي أحلّنا دار المقامة﴾ أي الإقامة من فضله هذا ثناء منهم على الله تعالى بإفضاله عليهم، وقولهم ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ أي تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ أي إعياء من التعب وصف لدار السلام وهي الجنة الخالية من النصب واللغوب جعلنا الله من أهلها.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١- وجوب العمل بالقرآن الكريم عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وقضاء وحكماً.
٢- بيان شرف هذه الأمة، وأنها الأمة المرحومة فكل من دخل الإسلام بصدق وأدى الفرائض واجتنب المحارم فهو ناج فائز ومن قصر وظلم نفسه بارتكاب الكبائر ومات ولم يشرك بالله شيئاً فهو آئيل الى دخول الجنة راجع إليها بإذن الله.
٣- بيان نعيم أهل الجنة وحلية أهلها وهي الأساور[3] من الذهب واللؤلؤ.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ

---

(١) جنات عدن بدل اشتمال من قوله ذلك الفضل الكبير.
(٢) لما دخلوا جنات عدن حمدوا الله تعالى وأثنوا عليه وإن قيل كيف دخل الظالم لنفسه الجنة وهو ظالم قلنا هذا الظلم هو ليس ظلماً لربه بأن عبد غير الله ولا هو ظلم لغيره وإنما هو ظلم لنفسه بارتكاب بعض الذنوب وهذا غير مانع من دخول الجنة إذ هو وارث بوصفه مؤمناً والجنة تورث والورثة يستوي فيهم البار مع العاق فلا يمنع من الإرث العاق بل يرث كالبار سواء بسواء.
(٣) ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.

عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

لا يقضى عليهم : أي بالموت فيموتوا ويستريحوا.

كذلك نجزى كل كفور : أي كذلك الجزاء نجزى كل كفور بنا وبآياتنا ولقائنا.

وهم يصطرخون فيها : أي يصيحون بأعلى أصواتهم يطلبون الخروج منها.

يقولون : أي في عويلهم وصراخهم ربنا أخرجنا أي منها نعمل صالحاً.

أو لم نعمركم ما يتذكر فيه : أي وقتا يتذكر فيه من تذكر.

وجاءكم النذير : أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصى.

إنه عليم بذات الصدور : أي بما في القلوب من إصرار على الكفر ولو عاش الكافر طوال الحياة.

خلائف في الأرض : يخلف بعضكم بعضاً. والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره.

فعليه كفره : أي وبال كفره.

إلا مقتاً : أي الا غضباً شديداً عليهم من الله عز وجل.

إلا خساراً : أي في الأخرة إذ يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح ذكر جزاء أهل الكفر والمعاصى فقال :

﴿والذين كفروا﴾[1] أي بالله وآياته ولقائه ﴿لهم نار جهنم﴾ أي جزاء لهم ﴿لا يقضى عليهم﴾[2] أي بالموت فيموتوا حتى يستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها ولا طرفة عين. وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي الجزاء ﴿نجزى كل كفور﴾ أي مبالغ في الكفر مكثر منه. وقوله: ﴿وهم يصطرخون[3] فيها﴾ أي في جهنم أي يصرخون بأعلى أصواتهم في بكاء وعويل يقولون: ﴿ربنا أخرجنا﴾ أي من النار ورُدنا إلى الحياة الدنيا ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ أي من الشرك والمعاصى. فيقال لهم: ﴿أو لم نعمركم﴾[4] أي أتطلبون الخروج من النار لتعملوا صالحاً ولم نعمركم أي نطل أعماركم بحيث يتذكر فيها من يريد أن يتذكر وجاءكم النذير[5] فلم تجيبوه وأصررتم على الشرك والمعاصى، إذاً فذوقوا عذاب النار ﴿فما للظالمين﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى من نصير ينصرهم فيخرجهم من النار. وقوله تعالى: ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ أي كل ما غاب في السموات والأرض ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ ومن ذلك أنه عليم بما في قلوبكم وما كنتم مصرين عليه من الشرك والشر والفساد ولو عشتم الدهر كله.

وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾[6] أي يخلف بعضكم بعضاً وفي ذلك ما يمكّن من العظة والاعتبار إذ العاقل من اعتبر بغيره فقد هلكت قبلكم أمم بذنوبهم فلم لا تتعظون بهم وقد خلفتموهم وجئتم بعدهم إذاً فلا عذر لكم أبداً.

وبعد هذا البيان فمن كفر فعليه كفره هو الذي يتحمل جزاءه، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم ﴿الا مقتاً﴾ أي بعداً عن الرحمة وبغضاً شديداً، ﴿ولا يزيد الكافرين﴾ أي المصرين على الكفر كفرهم ﴿إلا خساراً﴾ أي هلاكاً في الآخرة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان مُرّ العذاب وأليمه الذي هو جزاء الكافرين.

٢ـ الإعذار لمن بلّغه الله من العمر أربعين سنة.

---

(١) قال القرطبي لما ذكر أهل الجنة وأحوالهم ومقالتهم ذكر أهل النار وأحوالهم ومقالتهم.

(٢) هذا كقوله تعالى: ثم لا يموت فيها ولا يحيا من سورة الأعلى.

(٣) يصطرخون مبالغة في يصرخون افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد أي يصيحون من شدة ما أصابهم.

(٤) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والواو عاطفة قولا محذوفا تقديره يقولون ربنا اخرجنا ونقول ألم نعمركم والتعمير تطويل العمر.

(٥) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ او الشيب قال الشاعر:

رأيت الشيب من نُذرُ المنايا لصاحبه وحسبك من نذير . وما في التفسير أصح.

(٦) أي خلفاً بعد خلف وقرناً بعد قرن، والخلف هو التالي للتقدم.

٣ـ الكافر يعذب أبداً لعلم الله تعالى به وأنه لو عاش آلاف السنين ما أقلع عن كفره ولا حاول أن يتوب منه فلذا يعذب أبداً.

٤ـ في كون البشرية أجيالاً جيلا يذهب وآخر يأتي مجال للعظة والعبرة والعاقل من اعتبر بغيره.

٥ـ الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الرحمة ومقتاً عند الله تعالى والمقت أشد الغضب.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات:

قل أرأيتم : أي أخبروني.

تدعون من دون الله : أي تعبدون من غير الله وهي الأصنام.

أرونى ماذا خلقوا : أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي أيّ جزء منها خلقوه.

أم لهم شرك : أي أم لهم شركة في خلق السموات.

إلا غروراً : أي باطلاً إذْ قالوا إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم القيامة وتقربنا

إلى الله زلفى .

يمسك السموات والأرض أن تزولا : أي يمنعها من الزوال.

إن أمسكهما من أحد من بعده	: أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده لعجزه عن ذلك.
إنه كان حليما غفوراً	: أي حليماً لا يعجل بالعقوبة غفوراً لمن ندم واستغفر.
لئن جاءهم نذير	: أي رسول.
من احدى الأمم	: أي اليهود والنصارى.
فلما جاءهم نذير	: أي محمد صلى الله عليه وسلم.
ما زادهم الا نفوراً	: أي مجيئه إلا تباعداً عن الهدى ونفرة منه.
ومكر السيء	: أي الشرك والمعاصي.
ولا يحيق المكر السيء	: أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له.
سنة الأولين	: أي سنة الله فيهم وهي تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه.
ولن تجد لسنة الله تبديلا	: أي فلا يبدل العذاب بغيره.
ولن تجد لسنة الله تحويلا	: أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين من قومك: ﴿أرأيتم شركاءكم[1] الذين تدعون﴾ أي تعبدون من دون الله أخبروني: ماذا خلقوا من الأرض حتي استحقوا العبادة مع الله فعبدتموهم معه؟ أم لهم شرك[2] في السموات بأن خلقوا جزءاً وملكوه بالشركة. والجواب قطعاً لم يخلقوا شيئاً من الأرض وليس لهم في خلق السموات شركة أيضاً إذاً فكيف عبدتموهم مع الله؟ وقوله تعالى: ﴿أم آتيناهم﴾ اي أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك على بينة بصحة الشرك. والجواب ومن أين لهم هذا الكتاب الذي يبيح الشرك؟ بل إن[3] يعد الظالمون بعضهم بعضاً ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلاً إذْ الحقيقة أن المشركين لم يكن لهم كتاب يحتجون به على صحة الشرك،

---

(١) هذا شروع في بطلان الشرك وتحقيق التوحيد بالأسلوب الجدلي العقلي والاستفهام تقريري في قوله أرأيتم شركاءكم أروني أي أروني شيئاً خلقوه من الأرض.

(٢) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء، والمعنى ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وانزال المطر.

(٣) إن نافية بمعنى «ما» بقرينة الاستثناء والغرور الأباطيل تغرو وهي قول السادة للسفلة إن هذه الآلهة تنفعكم وتقربكم وتشفع لكم كما أن الشياطين توحي لهم بذلك من طريق الوسوسة.

وإنما هو أن الظالمين وهم المشركون ما يعد بعضهم بعضا وهو أن الآلهة ستشفع لنا وتقربنا إلى الله زلفى إلا غروراً وباطلاً فالرؤساء غرَّروا بالمرء وسين وكذبوا عليهم بأن الآلهة تشفع لهم عند الله وتقربهم منه زلفى فلهذا عبدوها من دون الله وقوله تعالى: ﴿إن الله يمسك[1] السموات والأرض أن تزولا﴾ يخبر تعالى عن عظيم قدرته ولطفه بعباده، ورحمته بهم وهي أنه تعالى يمسك السموات السبع والأرض أن تزولا أي تتحول عن أماكنهما، إذْ لو زالتا لخرب العالم في لحظات، وقوله: ﴿ولئن زالتا﴾ أي ولو زالتا ﴿إن[2] أمسكهما من أحد من بعده﴾ أي لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى، وقوله إنه كان حليماً غفوراً إذ حلمه هو الذي غرَّ الناس فعصوه، ولم يطيعوه، واشركوا به ولم يوحدوه ومغفرته هي التي دعت الناس إلى التوبة إليه، والإنابة إلى توحيده وعبادته.

وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٤٢) ﴿وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من إحدى الأمم﴾ يخبر تعالى عن المشركين العرب بأنهم في يوم من الأيام كانوا يحلفون بالله جهد أيمانهم أي غاية اجتهادهم فيها لئن جاءهم رسول يرشدهم ويعلمهم لكانوا أهدى[3] أي أعظم هداية من إحدى الطائفتين اليهود والنصارى. هكذا كانوا يحلفون ولما جاءهم نذير أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ أي بعداً عن الدين ونفرة منه، واستكباراً في الأرض، ومكر السيىء الذي هو عمل الشرك والظلم والمعاصي.

وقوله تعالى ﴿ولا يحيق[4] المكر السيىء الا بأهله﴾ إخبار منه تعالى بحقيقة يجهلها الناس وهي أن عاقبة المكر السيىء تعود على الماكرين بأسْوأ العقاب وأشد العذاب وقوله تعالى: ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينتظرون وهم مصرون على المكر السيىء وهو الشرك ومحاربة الرسول وأذية المؤمنين. إلا سنة[5] الأولين وهي إهلاك الماكرين الظالمين ﴿ولن تجد لسنة الله﴾ أيها

---

(١) لما بين لهم عجز آلهتهم وعدم قدرتها على خلق شيء في السموات والأرض بين لهم أن خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد شيء إلا بإيجاده ولا يبقى شيء إلا بإبقائه.

(٢) إن نافية بمعنى ما أي ما أمسكهما أحد سواه.

(٣) هذا كان منهم قبل البعثة النبوية فقد بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه لئن جاءهم نذير أي نبي ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعني ممن كذب الرُسُل من أهل الكتاب وكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول فلما جاءهم ما تمنوه نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

(٤) حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روى أن كعباً قال لابن عباس إني اجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القران ذلك قال وأين؟ قال اقرأ «ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله» ومن أمثال العرب: من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكباً، وجملة لا يحيق المكر السيء إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.

(٥) السنة الطريقة والجمع سنن.

الرسول ﴿تبديلا﴾ بأن يتبدل العذاب بغيره بالرحمة مثلا ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ بأن يتحول العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه إذاً فليعاجل قومك الوقت بالتوبة وإلا فهُم عرضة لأن تمضي فيهم سنة الله بعذابهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٢- بيان أن المشركين لا دليل لهم على صحة الشرك لا من عقل ولا من كتاب.

٣- بيان قدرة الله ولطفه بعباده ورحمته بهم في إمساك السموات والأرض عن الزوال.

٤- بيان كذب المشركين، ورجوعهم عما كانوا يتقاولونه بينهم من أنه لو أُرسل إليهم رسولاً لكانوا أهدى من اليهود أو النصارى.

٥- تقرير حقيقة وهي أن المكر السيىء[1] عائد على أهله لا على غيرهم وفي هذا يُرى أن ثلاثة على أهلها رواجع، وهي المكر السيىء، والبغي، والنّكث لقوله تعالى ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾. وقوله ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾.

أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

---

(١) المكر إخفاء الأذى وهو سيء لأنه غدر وخديعة.

شـرح الكلـمات :

وكانوا أشد منهم قوة : أي وأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسلهم.

وما كان الله ليعجزه من شيء: أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه.

إنه كان عليماً قديرا : أي عليماً بالأشياء كلها قديراً عليها كلها.

بما كسبوا : أي من الذنوب والمعاصي.

ما ترك على ظهرها : أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب على الأرض وهي كل ذي روح.

إلى أجل مسـمى : أي يوم القيامـة.

فإن الله كان بعباده بصيراً : فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيراً كان أو شراً.

معنى الآيـات :

لما هدد الله تعالى المشركين بإمضاء سنته فيهم وهي تعذيب وإهلاك المكذبين إذا أصروا على التكذيب ولم يتوبوا. قال ﴿أو لم يسيروا﴾ أي المشركون المكذبون لرسولنا ﷺ ﴿في الأرض﴾ شمالاً أو جنوباً ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كقوم صالح وقوم هود، إنها كانت دماراً وخساراً ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾[1] أي من هؤلاء المشركين اليوم قوة وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من[2] شيء في السموات ولا في الأرض﴾ أي لم يكن ليعجز الله شيء فيفوت الله ويهرب منه ولا يقدر عليه بل إنه غالب لكل شيء وقاهر له وقوله: ﴿إنه كان عليماً قديراً﴾ تقرير لقدرته وعجز كل شيء أمامه، فإن العليم القدير لا يعجزه شيء بالاختفاء والتستر، ولا بالمقاومة والهرب.

وقوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾[3] وهي الآية الأخيرة من هذا السياق (٤٥) أي ولو كان الله يؤاخذ الناس بذنوبهم فكلُّ من أذنب ذنباً انتقم منه فأهلكه ما ترك على ظهر الأرض من نسمة ذات روح تدب على وجه الأرض، ولكنه تعالى يؤخر الظالمين ﴿إلى أجل مسمى﴾[4] أي معين الوقت محدده إن كان في الدنيا ففي الدنيا، وإن كان يوم القيامة ففي القيامة. وقوله

---

(١) الجملة في محل نصب حالية أي كان عاقبتهم الاضمحلال وكانوا أشد قوة من هؤلاء فيكون استئصال هؤلاء أقرب.

(٢) أي هبكم انكم أقوى ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفاً في الحياة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وذلك لعلمه وقدرته، إذا فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم.

(٣) قال ابن مسعود، يريد جميع الحيوان مما دبّ ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام: قال ابن جرير هنا الناس وحدهم وهو كذلك.

(٤) قال مقاتل الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل هو يوم القيامة ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿فإذا جاء أجلهم[1] فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ يخبر بأنه إذا جاء أجل الظالمين فإنه تعالى بصير بهم لا يخفى عليه منهم أحد فيهلكم ولا يبقى منهم أحداً لكامل علمه وعظيم قدرته، ألا فليتق الله الظالمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية السير في الأرض للعبرة لا للتنزه واللهو واللعب.

٢ـ بيان أن الله لا يعجزه شيء وذلك لعلمه وقدرته وهي حال توجب الترهيب منه تعالى والإنابة إليه.

٣ـ حرمة استعجال العذاب فإن لكل شيء أجلا ووقتاً معيناً لا يتم قبله فلا معنى للاستعجال بحال.

سُورَةُ يسٓ[2]

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى

(١) قوله فإن الله كان بعباده بصيراً هو كالجواب لمن قال وكيف يهلك كل من في الأرض وفيهم الصالحون والمؤمنون فقال إنه كان بعباده بصيراً فقد ينجي من لا يستحق الهلاك ويهلك من يستحقه.

(٢) ورد في فضل هذه السورة حديث أبي داود عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ انه قال اقرأوا يس على موتاكم وورد عن أبي الدرداء أو أم الدرداء عنه ﷺ قال ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون الله عليه، وأخرج الدارمي عن أبي هريرة عنه ﷺ من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة وخرجه الحافظ أبو نعيم أيضاً.

ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

يس : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يسۤ، ويقرأ هكذا ياسِينْ والله أعلم بمراده به.

والقرآن الحكيم : أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو لذلك حكيم ومحكم أيضاً بعجيب النظم وبديع المعاني.

إنك لمن المرسلين : أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلى أقوامهم.

على صراط مستقيم : أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام.

تنزيل العزيز الرحيم : أي القرآن[1] تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به الرحيم بمن تاب إليه.

ما أنذر آباؤهم : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة.

فهم غافلون : أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال.

لقد حق القول على أكثرهم : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون.

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال.

فهي إلى الأذقان : أي أيديهم مجموعة إلى أذقناهم، والأذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين.

فهم مقمحون : أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون بأيديهم خيراً، ولا يذعنون برؤوسهم إلى حق.

---

(١) هذا على قراءة أهل المدينة وهي رفع تنزيل. أما على قراءة النصب فالتقدير أقرأ تنزيل العزيز الرحيم أو أمدح تنزيل.

فأغشيناهم فهم لا يبصرون : أي جعلنا على أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون.

وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون : أي استوى إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم.

من اتبع الذكر : أي القرآن.

وأجر كريم : أي بالجنة دار النعيم والسلام.

إنا نحن نحيي الموتى : أي نحن ربّ العزة نحيى الموتى للبعث والجزاء.

ونكتب ما قدموا وآثارهم[1] : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم، وآثارهم أي خطاهم إلى المساجد وما استنَّ به أحد من بعدهم.

في إمام مبين : أي في اللوح المحفوظ.

معنى الآيات :

﴿يسٓ﴾ الله أعلم[2] بمراده به ﴿والقرآن الحكيم[3]﴾ أي المحكم نظماً ومعنىً وذي الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه أقسم تعالى بالقرآن الحكيم على أن محمد ﷺ نبياً رسولاً فقال ﴿والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ الذي هو الإسلام. وقوله ﴿تنزيل[4] العزيز الرحيم﴾ أي هذا القرآن هو تنزيل الله ﴿العزيز﴾ في الانتقام ممن كفر به وكذب رسوله ﴿الرحيم﴾ بأوليائه وصالحى عباده. وقوله ﴿لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم﴾ أي أرسلناك وأنزلنا إليك الكتاب لأجل أن تنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من فترة طويلة وهم مشركو العرب إذ لم يأتهم رسول من بعد إسماعيل عليه السلام ﴿فهم غافلون﴾ أي لا يدرون عاقبة ما هم عليه من الشرك والشر والفساد، ومعنى تنذرهم تخوفهم عذاب الله تعالى المترتب على الشرك والمعاصى.

وقوله تعالى ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ أي أكثر خصوم النبي ﷺ من كفار قريش كأبي جهل حق عليهم القول الذي هو قوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ فوجب لهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون إذ لو آمنوا لما عذبوا، وعدم إيمانهم لم يكن مفروضاً عليهم

---

(١) وهم بعض فقال هذه الآية نزلت بالمدينة في بني سلمة والصحيح أن السورة كلها مكي وليس فيها مدني وانما قرأ ﷺ هذه الآية محتجاً بها على بني سلمه لما أرادوا النزول قرب المسجد فقال لهم بني سلمة دياركم تكتب آثاركم. وقرأ هذه الآية، ونكتب ما قدموا وآثارهم.

(٢) كره مالك رحمه الله تعالى التسمية بيسٓ وهو كذلك لعدم علمنا بالمراد منه وليس هو باسم للنبي ﷺ إذ ذكر أسماءه الخمسة ولم يذكر بينها يس ولا حجة في قول الرافضي :

يا نفس لا تمحضي بالود جاهدة   على المودة إلا آل ياسين

(٣) والقرآن الواو للقسم والقرآن مقسم به وجواب القسم : إنك لمن المرسلين وعلى صراط مستقيم خبر ثان لإن.

(٤) قرأ نافع والجمهور تنزيل بالرفع على انه خبر محذوف المبتدأ أي هو تنزيل والضمير عائد على القرآن المقسم به وقرأ حفص تنزيل بالنصب على المصدرية أو على تقدير أعنى أو أخص فيكون مدحاً وإشادة بشأنه وهو اليق.

وإنما هو باختيارهم وحرية إرادتهم إذ لو كان جبراً لما استحقوا العذاب عليه. وقوله تعالى ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي﴾ أي أيديهم ﴿إلى الأذقان﴾ مشدودة بالأغلال ﴿فهم مقمحون﴾ أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل لحالهم في عدم مدّ أيديهم للإنفاق في الخير، وعدم إذعان رؤوسهم لقبول الحق[1] وقوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ وهـذا تمثيل آخر لحالهم وهي أنهم زينّت لهم الحياة الدنيا فأصبحوا لا يرون غيرها فهو سد أمـامهم ومـانـع لهم من الإيمان وترك الشرك والمعاصي، وصورت لهم الآخرة بصورة باطلة مستحيلة الوقوع فكان ذلك سداً من خلفهم فهم لذلك لا يتوبون ولا يذكرون لعدم خوفهم من عذاب الآخرة وقوله تعالى ﴿وأغشيناهم﴾ هذا مبالغة في إضلالهم فجعل على أعينهم غشاوة من كره الرسول ﷺ وبغض ما جاء به فهم لذلك عمى لا يبصرون. وقوله تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم[2] أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ هذا إخبار منه تعالى بأن هذه المجموعة من خصوم الرسول ﷺ من أكابر مجرمى مكة استوى فيهم الإنذارالنّبويّ وعدمه فهم لا يؤمنون فكأن الله تعالى يقول لرسوله إن هؤلاء العتاة من خصومك إنذارك لهم لا ينفعهم فأنذر الذين ينفعهم إنذارك ودع من سواهم وهو قوله تعالى ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ أي القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ أي خافه فلم يعصه وهو لا يراه، كما لم يعصه عندما يخلو بنفسه ولا يراه غيره فمثل هذا بشره بمغفرة منا لذنوبه وأجر كريم على صالح عمله وهو الجنة دار المتقين وقوله تعالى: ﴿إنا نحن نحى الموتى﴾ أي للبعث والجزاء ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي أولئك الأموات أيام حياتهم من خير وشر، ﴿وآثارهم﴾ أي ونكتب آثارهم وهو ما اسْتُنَّ[3] به من سننهم الحسنة أو السيئة. ﴿وكل شيء﴾ أي من أعمال العبادة وغيرها ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ، وسنجزى كلاً بما عمل. وفي هذا الخطاب تسلية لرسول الله ﷺ.

---

(١) وجائز أن يكون هذا بيان لحالهم في النار يوم القيامة ولكن ما في التفسير أولى وأحق والسياق يؤكده.

(٢) أأنذرتهم أصل الهمزة الاستفهام ولكنها هنا للتسوية متمحضة لها.

(٣) شـاهده حـديث مسـلم عن النبي ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنه كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وكذا حديثه الآخر: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير النبوة المحمدية وتأكيد رسالته ﷺ.

٢ـ بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم.

٣ـ بيان أن الرسول محمداً ﷺ بعث على فترة من الرسل.

٤ـ بيان أن حب الدنيا والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة وعدم الالتفات اليها يضعان الإنسان بين حاجزين لا يستطيع تجاوزهما والتخلص منهما.

٥ـ بيان أن الذنوب تقيد صاحبها وتحول بينه وبين فعل الخير أو قبول الحق.

٦ـ بيان أن من سن سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده يجزى بها كما يجزى على عمله الذي باشره بيده.

٧ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير المعبر عنه بالإمام. ومعنى المبين أي ان ما كتب فيه بيّن واضح لا يجهل منه شيء.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

شـرح الكلمـات :

واضرب لهم مثلا : أي واجعل لهم مثلا.

أصحـاب القريـة : أي انطاكيه عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

إذ جاءها المرسلون : أي رسل عيسى عليه السلام.

فعززنا بثالث : أي قوينا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث وهو حبيب بن النجار.

وما علينا إلا البلاغ المبين : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الموتى.

إنَّا تطيرنا بكم : أي تشاءمنا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسببكم.

قالوا طائركم معكم : أي شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم.

أئن ذكرتم : أي وعظتم وخوفتم تطيرتم وهذا توبيخ لهم.

بل أنتم قوم مسرفون : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا﴾[1] أي واضرب أيها الرسول لقومك المصرين على الشرك والتكذيب لك ولما جئتهم به من الهدى ودين الحق ﴿مثلا أصحاب القرية﴾ فإن حالهم في التكذيب والغُلوّ في الكفر والعناد كحال هؤلاء. إذ جاءها المرسلون وهم رسل عيسى[2] عليه السلام إذ بعث برسولين ثم لما آذوهما بالضرب والسجن بعث بشمعون الصَّفي رأس الحواريين تعزيزاً لموقفهما كما قال تعالى ﴿فكذبوهما فعززنا بثالث﴾[3]، فقالوا لأهل انطاكيه[4] ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ من قبل عيسى عليه السلام ندعوكم إلى عبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان ﴿فقالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ أي ما أنتم إلا تكذبون علينا في دعواكم أنكم رسل إلينا فقال الرسل ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فواجهوا شك القوم فيهم بما يدفع الشك من القسم وتأكيد الخبر بالجملة الاسمية ولام التوكيد فقالوا: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي البيِّن الواضح فإن قبلتم ما دعوناكم إليه فذلك حظكم من الخير والنجاة وإن أبيتم فذلك حظكم من الهلاك والخسار. ورد أهل انطاكيه على الرسل قائلين: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي تشاءمنا[5] بكم حيث انقطع عنا المطر بسببكم* فرد عليهم المرسلون بقولهم ﴿طائركم معكم﴾ أي شؤمكم في كفركم وتكذيبكم، ولذا حبس الله المطر

---

(١) اضرب أي اجعل والمثل للتشبيه والمعنى اجعل اصحاب القرية والمرسلين اليهم شبهاً لأهل مكة وارسالك إليهم.

(٢) كان هذا بعد رفع عيسى إلا انه كان بإذن الله تعالى فلذا قال تعالى ارسلنا إليهم.

(٣) قرىء عززنا بالتخفيف والمعنى واحد.

(٤) كان أهل انطاكيا من اليهود ومن اليونان.

(٥) وجائز أن يكون قد حدث بينهم تشاجر وتشاحن نتيجة قبول الدعوة من أفراد منهم فحصل بينهم شجار وخلاف لم يألفوه فقالوا ما قالوا متشائمين، وفي الحديث: لا عدوى ولا طيرة وإنما الطيرة على من تطير.

* لئن لم تنتهوا من دعواكم بأنكم رسلٌ إلينا بترك آلهتنا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم.

عليكم. ثم قالـوا لهم موبخين لهم: ﴿أئن ذكـرتم﴾[1] أي وعـظتم وخُـوِّفتمُ بالله لعلكم تتقون تطيّرتُم. بل أنتم أيها القوم ﴿مسرفون﴾ أي متجاوزون الحد في الكفر والشرك والعدوان.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ استحسان ضرب المثل وهوتصـويرحالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما هنا في قصة حبيب بن النجار.

٢ـ تشابه حال الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان.

٣ـ لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم الى التهديد والوعيد.

٤ـ حرمة التطير والتشاؤم في الإسـلام.

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

شـرح الكلـمات:

وجـاء رجـلٌ : أي جاء حبيب بن النجار صاحب يـسَ[2].

من أقصـى المدينـة : أي من أقصا دور المدينة وهي انطاكيا العـاصمة.

(١) الاستفهام إنكاري وبل للإضراب الانتقالي أضرب عن دعواهم لبطلانها وانتقل بهم إلى الحقيقة وهي اسرافهم في الشرك والشر والفساد.

(٢) ما جاء في التفسير من كون الرسل هم رسل عيسى عليه السلام، وأن القرية هي أنطاكية ـ هو ما عليه أكثر المفسرين مثل قتادة وابن جرير وغيرهما، إلاّ أن ابن كثير رحمه الله تعالى رجّح أن الرسل رسل من الله تعالى، وأن القرية ليست أنطاكية، وحجته فيما رآه أنّ الله تعالى لم يهلك أمّة بعد نزول التوراة، وهذه القرية أهلك أهلها. وهذه غفلة منه رحمه الله تعالى إذ أهلك الله أهل قرية كانت حاضرة البحر، ومسخ أهلها قردةً وخنازير على عهد داود بعد نزول التوراة بقرن وإنما رفع هلاك العامّة بعد بعثة النبي محمد نبي الرحمة ﷺ.

يسعى : أي يشتد مسرعاً لما بلغه أن أهل البلد عزموا على قتل رسل عيسى الثلاثة.

قال يا قوم اتبعوا المرسلين : أي رسل عيسى عليه السلام.

اتبعوا من لا يسألكم أجراً : اتبعوا من لا يطلبكم أجراً على إبلاغ دعوة الحق.

وهم مهتدون : أي الرسل إنهم علي هداية من ربهم ما هم بكذابين.

فطرني : أي خلقني.

إن يردن الرحمن بضر : أي بمرض ونحوه.

ولا ينقذون : أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره.

إنى إذاً لفي ضلال مبين : أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدها لفى ضلال مبين.

إني آمنت بربكم فاسمعون : أي صارح قومه بهذا القول وقتلوه.

قيل ادخل الجنة : قالت له الملائكة عند الموت ادخل الجنة.

يا ليت قومي يعلمون : قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة.

بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين : وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك.

معنى الآيات :

ما زال السياق في مَثَلِ أصحاب القرية إنه بعد أن تعزز موقف الرسل الثلاثة وأعطاهم الله من الكرامات ما أبرأوا به المرضى بل وأحيوا الموتى بإذن الله وأصبح لهم أتباع مؤمنون غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بالرسل، وبلغ ذلك حبيب بن النجار وكان شيخا مؤمناً موحداً يسكن في طرف المدينة الأقصى فجاء يشتد سعيا على قدميه فأمر ونهى وصارح القوم بإيمانه وتوحيده فقتلوه رفْساً بأرجلهم قال تعالى ﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ - انطاكيه - ﴿رجل يسعى﴾[1] أي يمشى بسرعة لما بلغه أن أهل البلاد قد عزموا على قتل الرسل الثلاثة وما إن وصل إلى الجماهير الهائجة حتى قال بأعلى صوته: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾[2] وسأل الرسل هل طلبتم على إبلاغكم

---

(١) هذا الرجل هو حبيب بن النجار صاحب ياسين كما في الحديث والرجل كان مصاباً بالجذام سنين وشفاه الله تعالى على يد رسل عيسى وبذلك آمن وأسلم وبقي في أرض أنطاكيا يعبد الله تعالى حتى بلغه هم أهل المدينة انطاكيا بالبطش بالرسل جاء مسرعاً لينقذ دعوتهم ويدعو إلى الله تعالى بما أخبر به تعالى في هذه الآيات.

(٢) المراد بالمرسلين رسل عيسى الذين أرسلهم بالوصية إليهم إلى أنطاكيا من بينهم شمعون الذي عزز به الرسولين قبله.

دعوة عيسى أجراً قالوا لا. فقال ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهدايتهم. وقال له القوم وأنت تعبد الله مثلهم ولا تعبد آلهتنا؟ فقال: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ أي وأي شيء يجعلني لا أعبده وهو خلقني ﴿وإليه ترجعون﴾ أي بعد موتكم فيحاسبكم ويجزيكم بعملكم. ثم اغتنم الفرصة ليدعو إلى ربّه فقال مستفهماً ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ أي أصناماً وأوثاناً لا تسمع ولا تبصر ﴿إن يُردن الرحمن بضرٍّ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً﴾[1] وإن قل ولا ينقذون مما أراده بي من ضر ونحوه ﴿إني إذاً لفي ضلال مبين﴾[2] أي إني إذا أنا عبدت هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لفي ضلال مبين واضح لا يحتاج الى دليل عليه. ورفع صوته مبلغاً ﴿إني آمنت بربكم﴾ أي بخالقكم ورازقكم ومالك أمركم دون هذه الأصنام والأوثان ﴿فاسمعون﴾ وهنا وثبوا عليه فقتلوه. ولما قيل له ادخل الجنة ورأى نعيمها ذكر قومه ناصحاً لهم فقال: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي[3] ربي وجعلني من المكرمين[4]﴾ أي يعلمون بما غفر له وجعله من المكرمين وهو الإيمان والتوحيد حتي يؤمنوا ويوحدوا فنصح قومه حيّاً وميتاً وهذا شأن المسلم الحسن الإسلام والمؤمن الصادق الإيمان ينصح ولايغش ويرشد ولا يضل ومهما قالوا له وفيه ومهما عاملوه به من شدة وقسوة حتى الموت قتلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان كرامة حبيب بن النجار الذي نصح قومه حياً وميتاً.

٢ـ بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال.

٣ـ وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك ومهما كان العذاب قاسياً.

٤ـ بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين.

---

(١) إن يردن ولا تغن ولا ينقذون، فاسمعون حذفت منها كلها ياء المتكلم مراعاة للتخفيف ولظهورها وعدم اللبس مع حذفها، وجملة إن يردن في محل نصب نعت.

(٢) إني إذاً لفي ضلال مبين الجملة جواب للاستفهام الانكاري في قوله أتخذ من دونه آلهة أي إن اتخذت من دون الله آلهة إني في ضلال مبين.

(٣) بما غفر: ما مصدرية تسبك بمصدر نحو بمغفرة ربي لي.

(٤) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين.